لجنة نشر المؤلفات التيمورية

أوهام شعراء العرب في المعاني

بقلم

العلامة المحقق المغفور له

أحمد تيمور باشا

الطبعة الأولى
١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م

مطابع دار الكتاب العربي - شارع فاروق بمصر

لجنة نشر المؤلفات التيمورية

أوهام شعراء العرب في المعاني

بقلم

العلامة المحقق المغفور له
أحمد تيمور باشا

الطبعة الأولى

١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م

مطابع دار الكتاب العربي



العلامة المحقق المرحوم احمد تيمور باشا

افتتاحيّة

بقلم خليل ثابت بك

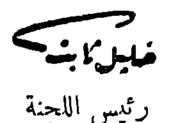
ما كان أشدّ عناية المغفور له العلاّمة المحقّق «أحمد تيمور باشا» بدراساته وبحوثه في كلّ علم، وفي كل فنّ من فنون الأدب والفلسفة والاجتماع وما قاساه على نفسه — رحمه الله — حين قضى حياته يخدم العلم والمتعلّمين ويصيب من تحقيق رغباته نصيباً كبيراً — ويظفر بقسط عظيم في إتحاف أبناء العربية بتلك المواكب الزاخرة الفخمة من التأليف والتعليقات والتحقيقات، وسواها من الآثار الخالدة التي تزيح الستار عنها واحدة بعد أخرى لجنة نشر المؤلفات التيمورية المسنود إليّ رياستها كلما اجتمعت لها الفرصة وتهيأت لها الأسباب — وهي كلّها تنمّ عن كفايته وبحوثه فيما تناوله ممّا أصبحت تزخر به مكتبته العلمية من مخطوطات وغير مخطوطات — استخرجها من جواهر الحقائق وعيون المعلومات — وأفنى فيها عمره، ليتمتّع بها الناطقون بالضاد، ويفوز هو من ذلك بأن يعلى الشرق العربيّ قدره، ويرفع في الخافقين ذكره؛ وهو في الحقيقة وواقع الأمر لم يكن يبغي من صنيعه هذا جزاء ولا شكورًا، بل كان يرضى بالغبطة، وراحة الضمير حين كان يجلو غامضا، أو يذيع تحقيقا من تحقيقاته المتعدّدة الممتعة التي

فاضت وعمّت ، وبلغت ما لم تبلغه سواها من آثار الباحثين والعلماء والمؤلفين ، لأنها كلّها قد أستقامت له فى جلوة الفكر الراجح ، والمعرفة النيِّرة ، والرويّة الصافية ، والمزاج السليم .

ومن تحصيل الحاصل أن نقول : إن مؤلّفات هذا الفقيد العظيم التى تزدان بها المكتبات العربيّة قد لقيت ما تستحقّه من الذيوع والإقبال ، وهو عين ما تنشده اللجنة من السعى إلى تعميم الأُنتفاع بها فى سبيل خدمة العلم ، ونشر الثقافة العامّة .

ومن أجل ذلك نقول : إنه لن يكون غريبا أن يجد كتاب « أوهام شعراء العرب فى المعانى » الذى تقدّمه اللجنة اليوم بين يدى القارئ ما وجدته المصنّفات السابقة من مؤلفات فقيدنا العلامة « أحمد تيمور باشا » لا لأنه من الذخائر العلميّة النفيسة ، والمراجع الوافية الدقيقة ، بل لأنه بحث خطير الشأن يرد به بعض ما أُنتاب أعضاء الملكة اللسانيّة من أغلاط لفظيّة وغير لفظيّة إلى أصولها وصوابها ، تحقيقا للغرض السامى الذى جنّد نفسه له ، وهو خدمة العلم وتحقيق وجوه الإصلاح — كما بدت له فى ثنايا دراساته أو عثر عليها فى خلال تحقيقاته — إحياءً لما أُندثر من كنوز الأدب ، وتقديرًا منه لآثار العرب .

سائلين الله أن يجد فيه طلاّب العلم تيسيرًا لدراستهم ، وتعميماً لفائدتهم ونفعهم ؟



رئيس اللجنة

كلمة اللجنة

حرصت لجنة نشر المؤلفات التيمورية على الدأب والسعى حثيثاً لكى تخرج لقرّاء العربية بين الحين والحين ألواناً شتّى من الكنوز الدفينة للتراث العامى المجيد فى آفاق الحياة الفنية والأدبية والاُجتماعية التى وسعتها مدارك المغفور له العلامة المحقق « أحمد تيمور باشا » وقويت عليها عقله الناضج ، ونظره الثاقب ، وتفكيره السليم ، ودأبه على البحث والدرس ، فخلّد له ذلك ذكراً مسموعاً يدوى فى المجامع العامية والهيئات الثقافية التى عرفت له ولأضرابه من العلماء الجهابذة والكتّاب النابهين أنهم قرأوا وأنتجوا وأننا نتغذى بعصارة عقولهم ، ونتاج بحوثهم القيمة وأنهم الشعلة الوضاءة التى أنارت للناس سبيل الجدّ والعمل لتذوق مؤلفاتهم واُستيعابها وهضمها من غير ما ملل ولا كلل ولا سأم ، لأنهم فصلوا بحوثهم تفصيلا ، وجعلوها شاملة جامعة للثقافات التى تسيطر على العقول ، وصوراً بارزة فى الحياة الفكرية والأدبية والاُجتماعية .

وإن اللجنة وهى بسبيل إخراج كتاب فقيدها العظيم (أوهام شعراء العرب فى المعانى) لا تنسى أن تنوّه بهذا العصر الحاضر الزاهر ، عصر «**الفاروق العظيم**» أو عصر العلم والنور الذى يحمل لواءه فى مصر اليوم ويزكى شعلته العالم العالمى الكبير صاحب المعالى الدكتور طه حسين

بك وزير المعارف عميد الأدب العربى الذى تتأثر بآثاره الحياة الأدبية فى الشرق العربى بلا منازع ، ومن أجل ذلك لم نحرم قراء العربية من رأى هذا العبقرىّ فى الفقيد العظيم تيمور باشا، تقديراً لمكانته وتمجيداً لذكراه

وقد تفضّل رئيس لجنتنا حضرة صاحب السعادة الشيخ المحترم الأستاذ خليل ثابت بك فأشار كذلك بإحالة كتابنا « أوهام شعراء العرب فى المعانى » إلى حضرة الدكتور مهدى علام بك بوصفه المراقب العام للغة العربية بوزارة المعارف العمومية من جهة ، وللعلاقة الأدبية الوثيقة التى كانت تربطه بالمغفور له تيمور باشا من جهة أخرى ليرى رأيه فيه ، وقد تفضّل حضرته مشكوراً فكتب مقدمة الكتاب وقال فى ختامها: « ولقد تناول مؤلفنا العظيم أوهام الشعراء الخلّص ، ولم يعرض للمولّدين منهم إلا فى ملحق قصير ، ذكر فيه بعض الأوهام لأبى نُوَاس وأبى تمّام. وليت العمر كان قد أمتد به ليكتب لنا رأيه فيما أعتقد أنه وهم للمتنبّى وغيره ، من أن الجُعَل تتأذى بريح الورد » .

ويسرّ اللجنة أن تسجّل المصادر التى أشار إليها سعادة العلامة الدكتور مهدى علام بك ملحقة بهذا الكتاب حفظاً لتراث الفقيد العظيم من جهة ، وأُستكمالا للبحث والدرس من جهة أخرى .

ولا يسع اللجنة إلا أن تزجى شكرها موفوراً لحضرات الكبراء والعظماء وقادة الرأى، ورجال الصحافة والأدباء والكتّاب، وأعضاء الهيئات العلمية فى مصر والأقطار العربية الذين يتفضلون بمواصلة معاونتها والأخذ بيدها فى سبيل أداء رسالتها ، خدمة للعلم ونشراً للثقافة العامة .

وتعرب اللجنة عن عظيم شكرها لحضرة الأستاذ مصطفى فهمى الحكيم المحرر بالمقطم والمحرر باللجنة لعنايته وتوفيقه فى الإشراف على إعداد الكتب وكذا حضرة الأستاذ أحمد ربيع المصرى سكرتيرها .

وتنوّه اللجنة كذلك بالجهد الكبير الذى بذله ويبذله حضرة الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعىّ فى مراجعة وتصحيح المؤلفات التيمورية التى تقوم اللجنة على طبعها وإصدارها .

الأسرة التيمورية
ومكانتها في العلم والأدب والمعرفة

لحضرة صاحب المعالى

الدكتور طه حسين بك

وزير المعارف

في حفلة استقبال محمود تيمور بك
عضواً بالمجمع الملكي للغة العربية

حضرة صاحب المعالى الدكتور طه حسين بك وزير المعارف العمومية حجة فى الأدب ، وعلم من أعلام الفكر ، وإمام من أئمة النهضة الحديثة وركن من أركان التقدم الثقافى ، بل إنه العبقرية الفذة التى لها فى المـآثر والآثار التى يخطىء الإنسان العد إن أحصاها .

وهذه كلمة مما جادت به قريحته الوقادة فى تاريخ الأسرة التيمورية ، آثرنا تسجيلها فيما يلى للتمتع بأثر من آثار هذا الوزير الخطير ، وما امتاز به من طابع خاص لن يعرف به سواه .

إنى لسعيد كلّ السعادة بأن أنوب عن مجمعنا فى استقبالك . بعد أن أظهر أعضاؤه حِرْصَهم على أن تكون بينهم ، وعلى أن تشاركهم فيما يبذلون من جهد لصيانة اللغة العربيّة والمحافظة على سلامتها ، وتمكينها من أن تكون مُنتجة ملائمة لمقتضيات الحياة على اختلاف عصورها .

فأنت تعلم أنّ المجمع ليس نظامًا مقصورًا على عصر دون عصر ،



صورة تذكارية من أيام الصبا

للعلامة المحقق المغفور له أحمد تيمور باشا

وأنجاله إسماعيل ومحمد ومحمود

وإنما هو نظام خالد ما خلدت « مصر » ، وكلّ واحد من أعضائه إنما أُستعار من خلود هذا النظام لقبه الذى عرف به المجمعيون فى « فرنسا » وهو لقب « الخالد » فنحن إنما نخلد بخلود هذا النظام الذى أنشئ ليبقى ما بقيت « مصر » ، وما بقيت اللغة العربية .

وأنت منذ اليوم قد أقبلت ولتشاركنا فى هذا الجهد ، ولتشاركنا فى تمكين هذا النظام من الإنتاج . وقد أنابنى المجمع ، ووكل إلىّ الرئيس أن أهدى إليك لقب المجمعيين ، فتصبح خالدًا من الخالدين .

وصدّقنى أيها الزميل العزيز ، أنك لم تكن فى حاجة إلى هذا الخلود المستعار ، فقد أُتخذت لنفسك من جهدك وخصب ذهنك ونضج عقلك وذكاء قلبك وإنتاجك الرائع المبدع خلوداً أبقى وأشمل وأخصّ من هذا الخلود الذى لا نكسبه أنفسنا ، وإنما نستعيره أُستعارة من عمل يبقى هو ونزول نحن .

فأمّا أنت فإنّ الخلود الذى أُكتسبته لنفسك يبقى مهما تكن الظروف ، ومهما تكن الأحوال ، سواء أُتصلت بالمجمع أم لم تتّصل به . وأنت تعلم أنّ فى المجمعيين شيئا غير قليل من الفضول ، وأنّ فيهم كذلك شيئا غير قليل من هذه الخصلة التى يحبّها الأقلّون ويبغضها الأكثرون ، وهى خصلة البحث والأُستقصاء . فليس كلّ الناس يحبّ البحث ، وليس كلّ الناس يستطرف الأُستقصاء ، وإنّما هى خصلة موقوفة على قوم شذّوا فى الحياة الأُجتماعية ، كرّسوا أنفسهم للبحث والدرس ، ولأُستكشاف الحقيقة وأُلتماسها حيث تكون ، وهم من أجل ذلك يكلّفون أنفسهم من

الجهد ما يكلِّفونها، ويتعرَّضون لكثير من العبث، ولكثير من السخرية أحيانًا. وقد امتحنت لكي تكون بين هؤلاء الناس، فاحتمل هذا الامتحان صابرًا ولك أجر المعذّبين الممتحنين.

وأوّل ما يفرض عليّ هذا الموقف حين أستقبلك، هو أن أخرج عن مألوف أوضاعنا الاجتماعية، فأتحدّث إليك بما تعلم وبما لا تعلم من أمرك، وأظهرك على أشياء لعلّك كنت تعرفها، وعلى أشياء أخرى لعلّك لم تلتفت إليها ولم تقف عندها. وأظنّ أنك لا تعرف أنك قد نشأت فى أُسْرة كريمة كلّ الكرم، عزيزة كلّ العزّة، لها سابقة فى المجد، ولها سابقة بنوع خاصّ فى حبّ الأدب والعلم والبحث والإنتاج والتفوّق فى هذه كلِّها.

* * *

أقبل جدّكم مع «محمد على» الكبير، وشارك فيما شارك فيه معاصرو ذلك البطل العظيم من احتمال الخطوب، ومواجهة المِحَن، والنفوذ من المشكلات، فكان جنديًا، وكان قائدًا فى الجيش، وكان مستشارًا للأَمير، وكان مديرًا لشئون بعض الأَقاليم، وأسّس لنفسه ولأسرته من بعده هذا المجد الذى توارثه عنه أبناؤه، والذى وفوا فى توارثه والقيام عليه

ولأمر ما أحبَّت العلم والأدب أُسْرتك منذ استقرّت فى «مصر». فجدّك «إسماعيل تيمور» كان محبًّا للعلم، ميّالا أشدّ الميل إلى العُزْلة، حريصاً كلّ الحرص على أن يقرأ ويبحث ويستقصى، مؤثراً صحبة الكتاب على صحبة الكبراء والأمراء، لا يكاد يلى منصب الحكم إلاّ حين



الـكاتبة القديرة والشاعرة المجيدة الذائعة الصيت
المغفور لها السيدة عائشة التيمورية

يستكره عليه أستكراها ، ولا يكاد يبلغ هذا المنصب بعد الجهد حتّى يحتال ليخرج منه ويعود إلى كتبه .

* * *

ووالدك العظيم « أحمد تيمور » ليس فى حاجة إلى أن نذكر مكانه فى الأدب ، ومكانه فى العلم ، وفى المعرفة باللغة العربية وتاريخها وتطوّرها ، وما كتب حول تاريخها ، وحول تطوّرها منذ أقدم العصور .

ولعلّك تعلم أو لا تعلم أنّ المكتبة التى ورثها أبوك العظيم عن والده ثم نمّاها وقوّاها وزاد فيها هى ثالثة مكتبات ثلاث : دار الكتب المصرية والمكتبة الأزهرية ، ومكتبة « تيمور » وهى عدا ذلك قد تمتاز بمجموعة من المخطوطات القيّمة ليست فى هذه المكتبة أو فى تلك .

كان إذن محبًّا للكتاب من حيث هو كتاب . ثم كان لا يكتفى بهذا الحبّ الظاهر الرفيق ، وإنما يحبّ ويريد أن يزدرد ما يحبّه أزدراداً ، فكان لا تصل يده إلى كتاب إلاّ قرأه وأعاد قراءته ، وأستخلص منه ثمرته وخلاصته .

ورث كثيراً من ذلك عن أبيه . وأضاف إلى ما ورث بجهده وكدّه ومواهبه الخاصّة شيئاً كثيراً .

* * *

وعمّتك سبقت إلى مجد أدبىّ خالد . فليس بين المثقّفين فى الشرق العربىّ بل فى الشرق كلّه ، مَنْ يجهل «عائشة التيمورية» ومَنْ يجهل أثرها فى الشعر العربىّ والتركىّ والفارسىّ .

فأنت إذن سليل هذه الأُسْرة التى نشأت فى العلم والأدب والمجد جميعاً . ألفت هذه كلّها وألفتك ، فليست غريبة عليك ولست غريباً عنها.

والغريب فى هذا كلّه أنّ هذا التراث الكريم لم يقتصر نقله على فرد من أفراد الأُسْرة دون سائر أفرادها . لم يستبدّ به أبوك حين ورثه عن أبيه ، وإنّما شاركته فيه أخته « عائشة » مشاركة ممتازة .

ولم تستبدّ أنت حين ورثته عن أبيك ، وإنما شاركك فيه أخواك « إسماعيل تيمور » و « محمد تيمور » ، وشاركك « محمد تيمور » مشاركة لا أقول ممتازة ، وإنما أقول رائعة ، ولعلّه سبقك إلى هذه المشاركة . كنتما شَرِيكَيْن فى حبّ الأدب والبحث والدرس والإنتاج ، ولكنّه سبقك إلى التفوّق والامتياز ، وعسى أن يكون قد وجّهك التوجيه الذى أتاح لك ما بلغت الآن من نضج وتفوُّق ونبوغ .

والجيل المصرى الحديث لا يستطيع أن ينسى فضل أخيك على التمثيل ، ممثّلا أوّلا ، وكاتباً وممثّلا بعد ذلك . ثم كاتباً يكرّس جهده للإنتاج للفنّ آخر الأمر . يكتب فى اللغة العربية الفصحى ، ويكتب فى اللغة العربية العامّية ، ولا يكاد يكتب، ولا يكاد الناس يسمعون بعض ما يكتب حتّى يصل إلى قلوبهم ، كما يصل الفاتح إلى المدينة التى يقهرها فيستأثر بها الاستئثار كلّه .

وأكاد أخشى عليك من كلّ هذا المجد ، وأكاد أشفق عليك من كلّ هذا التراث الضخم الثقيل . فقد يخيَّل إلى الذين لا يستقصون ولا يتعمّقون الأشياء ، كما يفعل المجمعيون أنك فى هذا إنما حفظت



المغفور له إسماعيل تيمور باشا

ما أحفظك ، أو ما أورثك آباؤك وأخوك ، ولم تكد تجدّد شيئاً ، فمن الجائز ألاّ يستغرب أن تكون نابغة ممتازاً . فقد أزهرت ونشأت وشببت في أُسْرة نابغة ممتازة .

ولكن نحن الذين نؤثر التعمّق والبحث لا نكاد ننظر إلى شيء يسير من آثارك الكثيرة حتّى نستيقن أنك قد تفوّقت على هذه الأسرة الممتازة كلّها . أخذت خير ما عندها ، وأضفت إليها ما لم تستطع هي أن تصل إليه .

شاركك أبوك في العلم ، وفي جمع الآثار العلميّة القيّمة وقراءتها وتذوّقها ، وهذه كلّها من الخصال الكريمة الرائعة . ولكنّك توافقني على أن الذين يشاركون أباك في هذا كثيرون في شرق الأرض وغربها .

وسبق أخوك إلى الإجادة في التمثيل ، ولكنّك توافقني على أنّ الذين أجادوا في التمثيل ليسوا قليلين .

وسبقت أنت إلى شيء لا أعرف أنّ أحداً شاركك فيه في الشرق العربيّ كلّه إلى الآن ، وإذا ذهب أحد مذهبك ، أو جاء أحد فيما بعد بخير مما جئت به ، فلن يستطيع أن يتفوّق عليك ، لأنك فتحت له الباب ، ومهّدت له الطريق ، ويسرّت له السعي ، وأتحت له أن ينتج وأن يمتاز وأن يتفوّق .

هذا الذي تفوّقت فيه وامتزت وسجّلت به لنفسك خلوداً في تاريخ الأدب العربيّ لا سبيل إلى أن يُمْحَى ، هو القصص على مذهبه الحديث في العالم الغربيّ .

ولست أدري ما الذي كان بينك وبين القصص من هذا الحبّ

الغريب ، فقد كنت فى صباك أوّلا مشغوفا بقراءته ، حريصاً على أن تمضى بياض يومك وسواد ليلك فى « ألف ليلة وليلة » ، تكاد تؤثر ذلك على الدرس المنظّم الرسمىّ . ولم تكد تتعلّم اللغة الأجنبية حتى التمست القصص فى هذه اللغة التى تعلّمتها .

ثم لم تكد تبلغ من الثقافة حظًّا يتيح لك التوسُّع فى القراءة حتى أسرعت إلى الآداب القصصية فى اللغات الأجنبيّة على اختلافها . فقرأت القصص الفرنسىّ ، وقرأت القصص الروسىّ ، وقرأت من القصص الألمانىّ والإنجليزىّ غير قليل عشت للقصص وكاد القصص أن يعيش لك فى « مصر » وامتزجت بالقصص ، حتى كدت تصبح قصّة !

ومن الناس من يحبّ القصص ويعكف عليها وينفق عمره فيها ، يريد أن يأخذ منها ما يستطيع دون أن يقدر على أن يردّ بعض ما أخذ ، أو يعطى بعض ما استعار.

ولكنّك لم تكن من هؤلاء ، ولم تكن تحبّ القصص لتأخذ فحسب ، وإنّما كنت تحبّ القصص لتأخذ ثم تقلّد ، ثم تلتمس شخصيّتك ثم تظفر بها ، ثم تنتج فتملأ الشرق والغرب أدباً وحكمة وفقهاً لشئون الحياة كأروع ما يكون الأدب والحكمة والفقه فى شئون الحياة .

فأدبك ليس مقصوراً على مصر ، ولا هو مقصور على البلاد العربيّة وحدها ، ولكنّه تجاوز حدود « مصر » ثم ضاقت به حدود البلاد العربية فعبر البحر إلى أقطار مختلفة من « أوربا » .



القصصي المشهور والأديب الكبير
المغفور له الأستاذ محمد تيمور بك

ترجمت إلى الفرنسيّة والإنجليزيّة ، وأحسب أنك ترجمت إلى اللغة الروسيّة أيضاً .

فإذا قيل إنك أديب مصريّ ، ففى ذلك غضّ منك . وإذا قيل : إنك أديب عربيّ ، ففى ذلك تقصير فى ذاتك ، وإنك توفى حقّك إذا قيل إنك أديب عالميّ بأدق معانى هذه الكلمة وأوسعها وأعمقها .

إنك حين قصدت إلى القصص ، أحببت أوّل ما أحببت هذا القصص العربيّ الشعبيّ اليسير الذى يتحدّث عن القلوب وعن الطبائع وعن الأذواق المصفاة فى غير مشقّة ولا تكلّف ولا عناء ، هذا الأدب اليسير الذى تزدريه الخاصّة المثقّفة فى البلاد العربية ، وتهوى إليه قلوب العامّة فتكون منه أذواقها ، وتكون منه شعورها .

وقد أحببت هذا الأدب كما تحبّه العامّة ، أخلصت له وأخلص لك ، وكدت تكون عاميًّا فى حبّك له وكلفك به .

وليس هذا غريباً ، فإنك حين حاولت أن تكتب القصص ، وتصبح منتجاً بعد أن كنت مستهلكا كان التعبير على هذا المنهج العاميّ اليسير البسيط هو أوّل ما قصدت إليه ونجحت فيه .

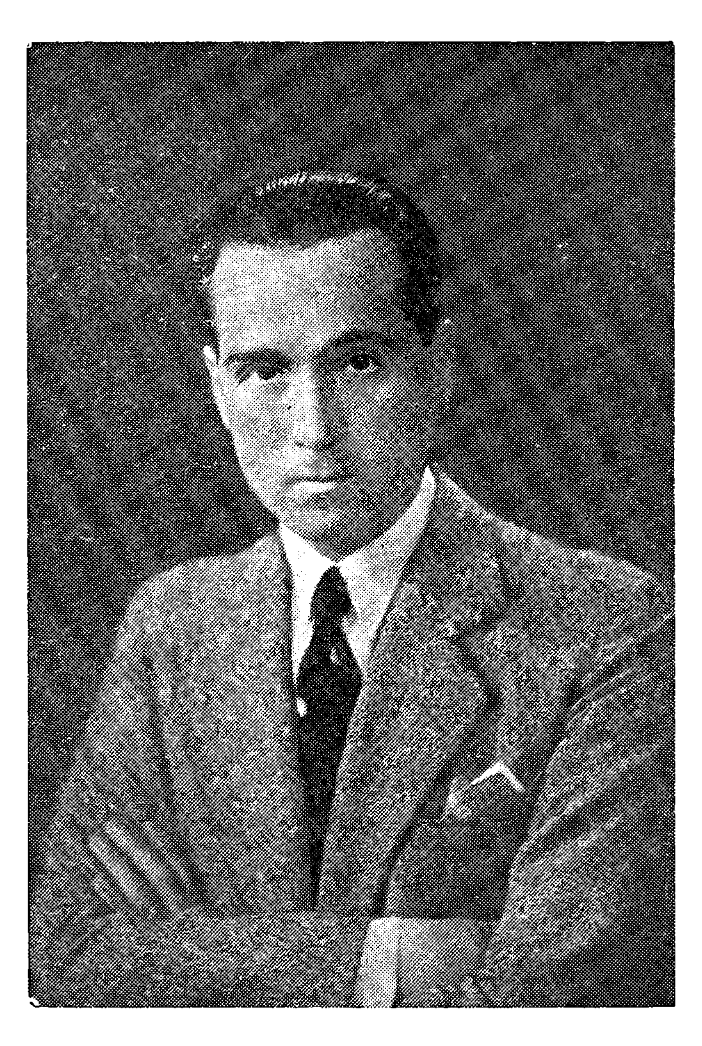
ففى أطوار حياتك الأدبيّة ما يعطى منك صورة القاصّ العربيّ الذى يصل إلى أعماق الحياة ويفقه كنهها ويستخلص صفوتها ، يصوغ ذلك صياغة حسنة ، فإذا كتب قرأه العاميّ لأنه يلائم ذوقه وقلبه وطبعه ، وقرأه الرجل الخاصّ لأن فيه من الابتكار فى المعانى ما لا يجده فى كثير جدًّا من الأدب الخاصّ الممتاز .

ويظهر أنك حاولت أن تحتفظ بهذه النزعة الشعبيّة فى التعبير ، فكان بينك و بين اللغة العربية الفصحى صراع شديد . كانت تريد أن تغلبك ، على أمرك وكنت تريد أن تقاومها،وكانت اللغة العربية الفصحى تنسلّ إلى أسلوبك وألفاظك الخاصّة بين حين وحين ، وإذا أدبك الشعبيُّ يأخذ قليلا قليلا مسحة من رَوْعَة اللغة العربيّة الفصحى .

ولعلّك تذكر ، وإنى أذكرك إن كنت قد نسيت ، حديثا ألقيته فى بعض مؤتمرات المستشرقين وكدت تخاص فيه للدفاع للغة العامّيّة ، وضقت أنا فى ذلك اليوم بهذا الدفاع . لم تكن تقدّر أنك ستكون مجمعيًّا فى يوم من الأيام ، ولم تكن تقدّر أنّ اللغة العربية أقوى منك ، كما كانت أقوى من كثير جدًّا لا من الأفراد بل من الشعوب ، ولم تكن تقدّر أنك ستضطر فى يوم من الأيام أن تكون من حُمَاة هذه اللغة العربية الفصحى التى كنت تؤثر عليها اللغة العامّيّة فى بعض أوقاتك .

ثم نرى تغلُّب هذه اللغة العربيّة عليك يزيد شيئا فشيئا ، وإذا هى تلتهمك اُلتهاما ، وإذا هى تصوغك على ما تريد هى ، لا على ما كنت تريد أنت ، وإذا أنت لا تستطيع أن تكرهها إلاّ على شىء واحد ، هو خير ما تحبّ لها ، وهو خير ما تحبّ لنفسها ، تكرهها على أن تطيق من المعانى والخواطر والفنون الرائعة الأدبيّة الجديدة ما لم تألفه من قبل . وإذا أنت من المرّنين لها أحسن تمرين ، تكلّفها أن تصوغ ما لم تتعوّد أن تصوغ ، وتؤدّي بها معانى لم تكن تكلّف تأديتها من قبل .

قرأت « حديث عيسى بن هشام » حين كنت صبيًّا فلم تتأثر به ،



الكاتب المتفنن والقصصى العصرى والأديب الناثر

الأستاذ محمود تيمور بك

وأكبر الظنّ أنك لم تتأثر به لأنه كتب على منهج « الهمَذانى » وأنك كنت تؤثر عليه قصص « ألف ليلة وليلة » :

وحين استأثرتْ بك اللغة العربية لم تفرض عليك أسلوب « عيسى ابن هشام » ولم تفرض عليك أسلوب « الجاحظ » ولم تفرض عليك أسلوب القدماء ، وإنّما كانت بينك وبينها هدنة اكتفت منك بأن تخضع لها ، وقبلت منك أن تفرض عليها أسلوبك الخاصّ .

لم تقبل ذلك منك عن ذلّة أو ضَعْف أو استكانة ، وإنما قبلت ذلك منك لأنها واسعة الصدر سمحة النفس ، تؤثر أن تأخذ أكثر مما تعطى ، وتتقبل ما يُهْدَى إليها ليضاعف من ثروتها ، ويمنحها الغنى والسعة ، وأنت قد أكسبتها بأسلوبك الجديد سعة وقوّة وقدرة ومرونة لم تكن لها من قبل .

وإنى أقرأ آثارك التى كتبتها باللغة العامّية ، فأرتاح إليها أشدّ الارتياح ، على رغم نفورى من اللغة العامّية حين تُكْتَب ، وحبّى لها حين يتكلّمها الناس .

ثم أقرأ الآثار التى تكتبها باللغة العربية الفصحى ، فأفتن بها الفتنة كلّها ، تفتننى معانيها التى كانت تفتننى حين كانت تلبس الثوب العامّىّ المهلهل ، ويفتننى لفظها لسحره ورَوْعته فى سهولة ويسر ، وفى غير تكلُّف ولا عنف ، وفى غير بحث عن ألفاظ غريبة ، ولا محاولة لتنميقها وترشيقها .

وأمرك غريب أيها الزميل العزيز . كنت تكتب العامّيّة ، فكانت تأتى كأنّما يَتفَجَّر بها ينبوع .

ثم أخذت تكتب العربيّة الفصحى ، فكانت تأتى كأنّما يتدفق بها نهر ضخم . فأنت رائع حين تكتب فى العامّيّة ، وأنت رائع حين تكتب فى اللغة العربية .

والحمد لله على أنّ اللغة العربيّة قد أستأثرت بك الأستئثار كلّه ، فقد كنت عدوًّا لها عنيفا ، تحبّب العامّيّة حين كنّا نريد أن نبغضها إلى الناس ، فأنتصرت اللغة العربيّة عليك أنتصارًا رائعا لا شكّ فيه .

وأنت كاتب حُلْو النفس ، عَذْب الرُّوح ، خفيف الظلّ ، لا تثقل على قرّائك مهما يطيلوا عشرتك

وأذكر أنّى تلقّيت ذات مرّة فى باريس (سلوى فى مهبّ الريح) فترددت فى قراءتها ، وآثرت أن أقرأ ما كنت أقرأ فيه من الأدب الفرنسىّ على أختلافه ، ولاسيّما حين أكون فى « فرنسا » ، ولكنّنى لا أستطيع أن أردّ نفسى عن قراءة آثارك ، فأخذت نفسى بأن أقرأ من كتابك هذا صُحُفًا بين حين وحين على ألاّ يصرفنى عما أنا فيه من قراءة فى الأدب الفرنسىّ . وأقسم ما بدأته حتى أعرضت عن كلّ ما أنا فيه ، ومضيت فى قراءته حتى أتممت كتابك على طوله ، ولم أقطع القراءة إلاّ حين لم يكن من قطعها بدٌّ .

وهذا شأن غيرها من القصص الذى تكتبه باللغة العربية . يأتى هذا كلّه من أنّك دقيق فى التصوير ، ومن أنّك متعمِّق لحقائق الأشياء دون أن يظهر تعمُّقك للقرّاء ، ودون أن تقول للقارئ : انظر ألا ترى أنى قد بحثت فأحسنت البحث ، وأستقصيت فأحسنت الأستقصاء ،

ودون أن تصنع صنيع « البحتري » حين كان ينشد بعض قصائده فإذا رأى من « المتوكِّل » وممّن حوله شيئا من الفتور سأل : ما لكم لا تعجبون ، وما لكم لا تصفِّقون ؟

وفيك بعد هذا كلّه دُعَابة حُلْوة لا يكاد الإنسان يبلُغها حتّى يقف عندها ، ثم يمضى فى قراءتها ، ولكنّه لا ينسى هذه الدُّعَابة ، دُعَابة فى اللفظ ، ودُعَابة فى التصوير ، ودُعَابة فى التفكير أيضا .

وقد كنت أقرأ منذ أيام قصّة « شفاه غليظة » ، وكم كنت أحبّ أن تسمّيها « الشفاه الغلاظ » فوقفت عند تصويرك لشفتى تلك الفتاة ، شفتان غليظتان لا تريدان أن تلتقيا ، كأنّ بينهما خصاما ، الشفة العليا لا تريد أن تنحدر ، أو أن تهبط لتمسّ الشفة السفلى ، كأنّ بها كبرياء ، ولكنّ الشىء الذى أستهوى بطلك فى هذه القصّة ، وملك عليه قلبه ولبّه وفؤاده كلّه هو شىء فى إحدى هاتين الشفتين ، نتوء ضئيل جدًّا فى وسط الشفة لا ينفرج ولا يتّسع ، ولا يتيح لهذه الشفة أن تستوى إلاّ حين تضحك الفتاة ، أو تبكى ، أو تأخذها ثورة من ثورات العاطفة .

هذا النتوء اليسير كان مدار قصّتك كلّها من أوّلها إلى آخرها ، شىء يسير جدًّا فى شفة فتاة من الفتيات ، رآها محام ففتن بها وهام بها الهيام كلّه ، وأقام عليها حياة أخصّ ما توصَف به أنها حياة رجل ذكىّ عبثت به فتاة فاستغفلته مرّتين أو مرّات .

وكذلك أنت فى كثير جدًّا من قصصك ، أو فى كلّ قصصك ، تصل

أو تستكشف شيئا يسيرًا وتجعله مدارًا للقصّة تعود إليه ، كأنّه لحنٌ من هذه الألحان اليسيرة التي يبنى الموسيقى عليها قطعته .

فأنت تجد فى قصصك فكرة أو صورة أو خاطرة دقيقة يسيرة تدور عليها قصّتك ، فتستهوي وتخلب وتستلب القلوب

كتبك ليست قليلة ، وأحسبها قد بلغت الثلاثين أو جاوزتها . تُرجِم منها ، الكثير وسيُتَرْجَم منها أكثر ممّا تُرْجِم . ولا أكاد أعتقد أن كاتبا مصريًّا مهما يكن شأنه قد وصل إلى الجماهير المثقّفة وغير المثقّفة كما وصلت أنت إليها ، فأنت شديد الأنتشار ، لا تكاد تكتب الكتاب حتى يتهافت عليه القارئون فى البلاد العربيّة كلّها

أتظنّ بعد هذا أنك لم تتفوّق على أُسْرتك ، ولم تضف إلى تراثها العظيم ؟

أتظنّ بعد هذا أنك مَدِين بمكانتك الأدبيّة لهذه الأُسْرة الأدبيّة النابغة ؟

أليس الحقّ أنك أخذت عنها كثيرًا وأضفت إليها كثيرًا ؟

ثم أتفهم الآن لماذا سعى إليك المجمع سعياً رفيقاً كما يسعى إلى شيء ذى خطر لا يسهل الوصول إليه ، سَعَى إليك سَعْىَ الحيّة فيما يقول « عمر بن أبى ربيعة » ، سعى فقدّر آدابك العربيّة وأجازها ونوّه بها ، ثم أُستأنى بك لأنه يعرف تواضُعَك وهدوءك ، ويعرف ما طُبعت عليه من حبّ العُزْلة والأنزواء ، أُستأنى بك حتّى تسيغ هذا التقدير وحتّى تطمئنّ إليه ، أُستأنِى بك سنة أو سنتين ، فلمّا عرف أنك تلقّيت هذه

الصدمة وصبرت لها واُحتملتها ، ثم تعزّيت عنها فسافرت وأقمت وقرأت وأنتجت ، هجم هجمته الكبرى وأخذك على غِرّة . وأشهد ما عرفت أنت ولا أحسست قطّ بأن المجمع يريد أَن يضمّك إليه ، وإنّما أخذك المجمع فجاء في ذات يوم في جلسة من الجلسات ، فأْتمر بك صديقان لك هما : « أحمد أمين » و « طه حسين » فرشّحاك للمجمع ، ولم يكادا يعرضان ترشيحهما حتّى أجمع هذا المجمع على اُختيارك ، وإذا أنت قد اُلتهمك المجمع اُلتهاما كما اُلتهمتك اللغة العربية الفصحى اُلتهاما من قبل .

كنت مدافعا عن اللغة العربيّة الفصحى بما تكتب وما تُنتج من آثار ، لا تكاد تزيد على ذلك . وحسبك بهذا دفاعا عنها وصيانة لها .

ولكنّ المجمع يقول : لك منذ الآن ألاّ تكتفى بالإنتاج الأدبىّ ، بل تضيف إلى هذا الإنتاج الأدبىّ مشاركة فى هذا العناء المتواضع الذى يشقى به المجمع مرّة فى كلّ أسبوع . وعسى أن يشقى به أكثر من مرّة فاصبر نفسك على الصدمة الثانية ، كما صبّرتها على الصدمة الأولى ، واُطمئن إلى أن المجمع لا يملك أن يروعك بعد ذلك ، فقد اُنتهى من أمرك . ولكن لا تطمئنّ ياسيّدى ، فإنّ الدنيا لا تشتمل على المجمع وحده ، وإنّ الذين ينتجون مثل ما تنتج ، ويسيرون فى الحياة الأدبيّة والعقليّة مثل ما تسير ، مضطرّون إلى أن يصبروا للأحداث ، وأحداث المجد الأدبىّ خاصّة ، وهذه الأحداث أظنّ بل أصدق بأنك تعرف أثقالها وتعرف كيف تحتمل هذه الأثقال ؟ .

مقدّمة

بقلم الدكتور مهدى علّام

المراقب العام للغة العربيّة بوزارة المعارف

منذ نيّف وعشر سنين كنت أشتغل ببحث رجعت فيه إلى بعض المخطوطات المحفوظة فى « الخزانة التيمورية » ولم يبهرنى يومئذ ما عثرت عليه هناك من المخطوطات النادرة المتّصلة ببحثى ، فإن عناية المرحوم تيمور باشا بجمع تلك الذخائر العلمية كانت أمراً معروفاً لعارفى فضله ؛ ولكن الذى بهرنى هو تلك التعليقات التحقيقيّة التى حُلِّيت بها صفحات تلك الكتب التى تمتلئ بها الخزانة الميمونة . بهرنى منها أمران : وفورها ودقتها . أمّا وفورها فظاهر لكل مطّلع عابر ، وأما دقّتها فلا تتجلّى إلاّ للباحث الذى يسعى وراء تحقيق مسألة من المسائل . فإذا حدث أنه رجع إلى أحد الكتب التيمورية ألفى أنّ ما خطّته يد ذلك الشيخ الجليل لم يكن خواطر عابرة ، مما يجده المرء عادة على هوامش الكتب ، ولكنّه تحقيقات علميّة يثرى بها العلم ، ويستنير بها الباحث .

لقد كنت أتعقّب تاريخ شاعر أندلسىّ عظيم لم تتنبّه له عادة كتب الأدب ، ولم يظفر بحظّ فى كتب التاريخ (حتى دائرة المعارف الإسلامية نفسها لم تَجُد عليه ولا على مؤلّف من مؤلّفاته المندثرة بكلمة واحدة)

ولكنّني، فى مخطوط من مخطوطات تيمور العظيم وجدت تعليقات تشير إلى بعض المراجع التى يوجد بها شذرات عن ذلك الشاعر العظيم .

ولكم تمنّيت يومئذ أن يتيح الله مَنْ يدرس هذه التعليقات ليضمّ مؤتلفها ، ويخرجه للعلم والعلماء . ولم أكن أعلم أنّ تيمور العظيم كان قد قام هو نفسه بذلك ، أو ببعضه على الأقلّ ، مما أخرجته وتخرجه « لجنة نشر المؤلّفات التيموريّة » بعملها المشكور الذى تتوجّه جهود رئيسها الشيخ المحترم الأستاذ « خليل ثابت بك » فمن التعليقات التى زيّن بها تيمور العظيم صفحات كتبه ، كتابه عن « لُعَب العرب » ومن هذه التعليقات جمع لنا — طيّب الله ثراه — كتابه الذى نحن بصدد تقديمه الآن للعلماء : « أوهام شعراء العرب فى المعانى » . جمعها من لسان العرب والمُزْهِر ، والأغانى ، والخصائص ، والعقد الفريد ، ومحاضرات الأدباء ، والتنبيهات ، والوساطة ، ومجالس أبى مسلم ، والموشَّح ، وسِفْر السعادة ، وخِزَانة الأدب ، وشروح الدواوين الشعرية المختلفة ، وغيرها من الكتب التى قرأها وعلّق عليها .

ولم يكن تيمور العظيم ، فى هذا الكتاب ، متعقِّباً لأخطاء الشعراء ، كما لم يكن فى أىّ تعليق من تعليقاته متعقِّباً لأخطاء الكتّاب والمؤلّفين ، حبًّا فى تسجيل خطإ المخطئين ، ولكنّه كان يريد تصويب الخطإ ، ووضع الأمر فى نصابه فهو ليس من العيّابين ، ولكنّه من المصلحين . يتجلّى لك ذلك فى مناقشته لآراء النّقاد الذين يخطِّئون الشعراء فى معانيهم ، فهو لا يفرح بالوقوع على خطإ ليسجِّله — شأن فقراء النفوس ، وفقراء

العلم — ولكنّه كما يتعقّب الشعراء يتعقّب النقّاد وينصف أولئك من هؤلاء ، كما فعل عند كلامه على قول أبى النجم :

* كأنّها مِيجَنةُ القَصَّـــار[1] *

وكما فعل عند كلامه على ما أخذه أبو عمرو بن العلاء على النابغة الذُّبْيانى فى قوله :

مقذوفة بدَخِيس النحْضِ بازِلُها   له صَريف صريف القَعْو بالمَسَدِ[2]

وكمناقشته لآراء النقّاد الذين قالوا : إن زهيراً قد أخطأ حين قال : إن الضفادع تخرج من الماء خوفاً من الغرق فى قوله :

يحيل فى جدول تحبو ضفادِعه   حَبْوَ الجوارى ترى فى مائه نُطُقا[3]

يخرجن من شَرَبات ماؤها طَحِل   على الجذوع يَخَفْن الغمّ والغرقا

وبعد ، فقد سألنى أحد الطلاّب يوماً ، وأنا أتكلّم عن قول المتنبّى فى وصف حسّاده الأَغنياء ، إذ يضرّهم إنشاد قصائده كما تُضِرُّ رياح الورد بالجُعَل :

بذى الغباوة من إنشادها ضرر   كما تُضِرُّ رياحُ الورد بالجُعَل

أصحيح أن الجُعَل يضرّ بها ريح الورد ؟ فكان جوابى أننى لم أقم بتجربة أتبيَّن منها صحّة ذلك ، وأغلب الظنّ أنها لا تضرّ بها ، وإنما تصوّر المتنبّى — ومعه غيره من الشعراء — أنّ الجُعَل تتأذّى بريح الورد لأنها

---

(١) راجع ص ١٦ من هذا الكتاب .

(٢) راجع ص ٢٤ من هذا الكتاب .

(٣) راجع ص ٣٥ من هذا الكتاب .

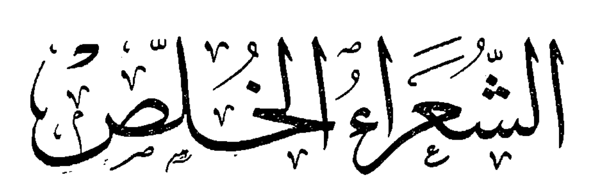
تعيش فى بيئة قذرة ، ولعلّ ذلك من أوهام الشعراء . ولم أكن أدرى يوم قلتُ ذلك أنه سيصبح من حُسْن حظّى ودواعى أُغتباطى أن أكتب مقدّمة لكتاب فى « أوهام الشعراء فى المعانى » لعالم من أعظم علمائنا .

ولقد تناول مؤلّفنا العظيم أوهام الشعراء الخلّص ، ولم يعرض للمولّدين منهم إلاّ فى مُلْحَق قصير ذكر فيه بعض الأوهام لأبى نُوَاس وأبى تمّام . وليت العمر كان قد أُمتدّ به ليكتب لنا رأيه فيما أُعتقد أنه وهم للمتنبّى وغيره ، من أنّ الجَعَلَ تتأذّى بريح الورد .

مهدى علام

حدائق القبة فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٩

الباب الأول



ويشتمل على ستة أقسام

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

بقلم العلامة المحقق المغفور له

أحمد تيمور باشا

إذا قيل : إنّ العربىّ لا يخطىء ، فالمراد لا يخطىء فى اللفظ للملكة اللسانيّة الراسخة فيه[1] ، وأمّا فى المعانى فلم يقل أحد بعصمة جنانه ، كما قالوا بعصمة لسانه ، بل هو خلاف ما صرّح به أئمّة العربيّة ، ألا تراهم كيف خطّأوا أبا قيس بن رفاعة[2] فى قوله :

منّا الذى هو ما إن طَرّ شاربه ... والعانسون ومنّا الُمرْد والشِّيب

لأنه لم يحسن التقسيم فى البيت .

---

(١) لبعض شعراء العرب أغلاط لفظية نبه عنها العلماء ، وفى كونها للضرورة أو لغيرها خلاف لا يسع المقام ذكره .

(٢) لم يتعرض البغدادى لهذا البيت فى شرحه لشواهد المغنى بسوى قوله : « قال أبو عبيد البكرى فى شرح نوادر القالى : البيت لأبى القيس بن رفاعة ، هكذا يقول يعقوب ، وغيره يقول : قيس بن رفاعة» . قلنا :للبكرى كتابان ، أحدهما : شرح نوادر القالى الذى نقل عنه البغدادى هذه العبارة ، والثانى التنبيه على أوهام القالى فى أماليه ، وعندنا منه نسخة صحيحة مقروءة كتبت سنة ٦٦٢ هـ ونص مافيها عن قيس بن رفاعة : « إنما هو أبو قيس بن رفاعة واسمه دثار ، وقد ذكره أبو على رحمه الله بعد هذا فى كتابه على صحته» الخ إلا أن أحد من قرأ النسخة زاد لفظ (أبى) قبل رفاعة فصار ابن أبى رفاعة وكتب فوقه (صح) .

وقد اعترض ابن هشام فى المغنى على ذكره المرد بعد قوله : ما طرّ شاربه ، إذ الذى لم ينبت شاربه أمرد ، فكأنّه قال : منّا الأمرد ، ومنّا المُرْد ، ثمّ قال : « والبيت عندى فاسد التقسيم بغير هذا ، ألا ترى أنّ العانسين ، وهم الذين لم يتزوّجوا ، لا يناسبون بقيّة الأقسام ، وإنّما العرب يحمّيون عن الخطأ فى الألفاظ دون المعانى » انتهى .

وقد حاول بعض شرّاحه تصويب ما فى البيت بتقدير أنّ أصله : منّا العانسون والمتزوّجون ومنّا المرد والشيب ، وذكروا فيه أوجهاً أخرى لا تخلو من مثل هذا التكلّف .

وقال الجاحظ فى كتاب الحيوان : « وليس الأعرابىّ بقدوة إلاّ فى الجرّ والنصب والرفع وفى الأسماء ، وأمّا غير ذلك فقد يخطىء فيه ويصيب » . والنصوص على ذلك كثيرة لا تختلف إلاّ فى المبنى فلا حاجة لذكرها . وقد بحثنا فيما وصل إلينا من هذه الأوهام ، وتفحّصنا أسبابها ، فرأيناها ترجع إلى الأقسام الآتية :

القسم الأول

فمن أسباب الوهم فى المعانى جهل الشاعر بما يذكره لبعده عنه ، فتراه يأتى به على غير حقيقته ، ويضعه فى غير موضعه ، أو يبهم فى وصفه فلا يدنيه منك ولا يبعده ، كالحَضَرىّ الذى لم يسبق له التبدّى ، والبدوىّ الذى لم يتحضّر ، فإنهما قلّما يستطيع أحدهما أن يذكر ما عند الآخر فيصيب فيه ، أو يصفه فيحسن الإفصاح عنه لأنّه إنّما يذكر ما لم يعرفه ، ولم يره إلاّ بسمعه . حكى صاحبُ الأغانى عن الكميت أنه قال : لمّا قدم ذو الرّمّة أتيته فقلت : إنّى قد قلت قصيدة عارضت بها قصيدتك : (ما بالُ عينك منها الماء ينسكب) فقلت :

هل أنتَ عن طلب الأيفاع منقلبُ أم كيف يحسن من ذى الشّيبة اللعب؟

حتّى أنشدته إيّاها ، فقال لى : ويحك ! إنّك لتقول قولاً ما يقدر إنسان أن يقول لك : أصبت ولا أخطأت ، وذلك أنّك تصف الشىء فلا تجىء به ، ولا تقع بعيداً عنه ، بل تقع قريباً . قلت له : أوتدرى لم ذلك ؟ قال : لا ، قلت : لأنّك تصف شيئاً رأيته بعينك ، وأنا أصف شيئاً وُصِف لى ، وليست المعاينة كالوصف . قال : فسكت . انتهى .

ويروى : أنّ الكميت كانت له جدّتان أدركتا الجاهلية ، فكانتا تصفان له البادية وأمورها ، وتخبرانه بأخبار الناس فى الجاهليّة ، فإذا شكّ فى شعر أو خبر عرضه عليهما فتخبرانه ، فمن هناك كان علمه .

قلنا : وقد رأيت كيف لم يغنه وصف الجدّتين شيئاً ، فوقع فيما أُحتاج إلى الاُعتذار منه . وليت شعرى أين عزبتا عنه لمّا نظم قصيدته : (أبت هذه النفس إلاّ أدّ كاراً) فقال فيها[1] :

إذا ما الهجارسُ غنّينهــا   يُجاوبن بالفَــلَوَات الوِبارا[2]

وقال :

كأنّ الغُطامط من غليهــا   أراجيزُ أسْلمَ تهجو غِفارا[3]

فكانتا تخبرانه بأنّ الوبار لا تسكن الفَلَوَات ، وبأنّ أسلمَ ما هجت غفاراً قطّ فتنجيانه من اُنتقاد نُصَيب .

ومَثَل هذا الحضرىّ فى وصفه ما لم يره من أمور البادية ، كمثل ذلك البدوىّ الذى سمع بأنّ الرقاق والفستق من مأكول الحضر ، وأراد وصف جارية بالتبدّى فقال :

دَسْتيّة لم تأكل المرقّقــا   ولم تذق من البقول الفستقا[4]

---

(١) فى الأغانى أن المنتقد للبيتين نصيب .

(٢) الهجارس : الثعالب ، أو كل ما يعسعس بالليل مما كان دون الثعلب وفوق اليربوع . والوبار (بكسر الأول) : جمع وبر ، وهى دويبة على قدر السنور .

(٣) أصل الغطامط (بضم الأول) : صوت غليان موج البحر ، وأراد هنا صوت غليان القدور لأنه يصف قدور أبان بن الوليد البجلى . والذى فى الخصائص والمزهر أن أسلم وغفاراً لم تقع بينهما مهاجاة . ومثله فى الموشح للمرزبانى وزاد أنهما من قبيلة واحدة ومثله أيضاً فى شرح القاموس إلا أنه ذكر فى إحدى الروايات أنهما تهاجتا مرة ، وهو قول تفرد به قائله .

(٤) البيت لأبى نخيلة الأسدى . والدستية : المنسوبة إلى الدست ، وهى الصحراء ، وهى رواية اللسان ، والذى فى الصحاح وأكثر كتب الأدب . برية ، والمراد أنها بدوية لا تعرف الحضر ولا مآكله .

وعذره أنّه لم يعرف الفستق ، وإنّما سمع به فظنّه من البقول ، وهو ثمر شجرة . قال شارح القاموس : « وتمحّل بعضهم فقال : إنّما هو من النقول بالنون[1] قال الصاغانىّ : ولكنّ الرواية بالباء لا غير » انتهى . ولا ندرى ما الذى كان يأتينا به فى الرقاق لو اُتّسع له المجال فى البيت . ولو أنّا قدّرنا عكس هذه الحالة وأرينا هذا الأعرابىّ الرقاق والفستق قبل أن نخبره بهما لكان حقًّا علينا أن نعذره كما عذرناه أوّلاً إذا رأيناه يعدل عن حقيقتهما إلى ما يصوّره ظنّه فيهما كما وقع للعرب فى وقعة أُلَّيْس[2] لما اُستولوا على ما فى معسكر الفرس ، فجعل من لم ير الرقاق منهم يقول : ما هذه الرقاع البيض على ما حكاه ابن الأثير فى الكامل .

ومن طريف ما يروى عن ناهض بن ثومة ، وكان بدويًّا جافياً ، أنه نزل حلب وشهد فى ضاحيتها عرساً ، فلمّا رأى اُحتشاد الناس ظنّهم فى أحد العيدين ، ثمّ تذكّر أنه خرج من البادية فى صفر وقد مضى العيدان ، ولمّا رأى العروس بين السماطين ظنّه أمير البلد فى يوم جلوسه للناس . ثمّ وصف ما رآه فى العرس على ما تصوّره ، فقال عن الموائد : « فلم أنشب أن دخل رجال يحملون هنات مدوّرات ، أمّا ما خفّ منها فيحمل حملاً ، وأمّا ما كبر وثقل فيدحرج فوُضِع ذلك أمامنا ، وتحلّق القوم عليه حلقاً ،

---

(١) النقول جمع نقل ، وهو ما يتنقل به على الشراب . ولعله أراد بالمتمحل الجوهرى لقوله فى الصحاح : « ظن هذا الأعرابى أن الفستق من النقل ، وهكذا يروى بالباء ، وأنا أظنه بالنون لأن الفستق من النقل وليس من البقل » .

(٢) فى نسخة الكامل لابن الأثير المطبوعة ببولاق (الليس) والصواب أليس (بضم الهمزة وتشديد اللام المفتوحة وسكون الياء) كما فى معجم البلدان لياقوت .

ثمّ أُتينا بخرق بيض فأُلقيت بين أيدينا فظننتها ثياباً ، وهممت أن أسأل القوم منها خرقا أقطّعها قميصاً ، وذلك أنّى رأيت نسجاً متلاحماً لا يبين له سَدًى ولا لُحْمة ، فلمّا بسطه القوم بين أيديهم إذا هو يتمزّق سريعاً ، وإذا هو فيما زعموا صنف من الخبز لا أعرفه » . وقال عن العود : « وكان معنا فى البيت شابّ لا آبه له ، فعلت الأصوات بالثناء عليه والدعاء ، فخرج فجاء بخشبة عيناها فى صدرها ، فيها خيوط أربعة ، فاُستخرج من خلالها عودًا فوضعه خلف أذنه ، ثمّ عرك آذانها وحرّكها بخشبة فى يده ، فنطقت وربّ الكعبة ! وإذا هى أحسن قينة رأيتها قطّ ، وغنّى عليها فأطربنى حتّى اُستخفّنى من مجلسى ، فوثبت فجلست بين يديه وقلت : بأبى أنت وأمّى ما هذه الدابّة فلست أعرفها للأعراب وما أراها خلقت إلاّ قريباً ؟ فقال : هذا البَرْبَط ، فقلت : بأبى أنت وأمّى ، فما هذا الخيط الأسفل ؟ قال : الزِّير ، قلت : فالذى يليه ، قال : المَثْنَى ، قلت : فالثالث ، قال : المَثْلَث ، قلت : فالأعلى ، قال : البَمّ ، فقلت : آمنت بالله أوّلاً ، وبك ثانياً ، وبالبربط ثالثاً ، وبالبَمّ رابعاً » انتهى .

ومن قبيل بيت الفستق قول عمر بن أحمر الباهلىّ يصف اُمرأة بالغرارة :

لم تدر ما نسج اليَرَنْدَج قبلها ودراس أعوصَ دارسٍ متخدّد

يريد أنّها غرّة لا تعرف نسج اليرندج ، ولم تدارس الناس عويص الكلام الذى يخفى أحياناً ويتبيّن أحياناً . قالوا : ولم يعرف الشاعر أنّ اليرندج : جلد أسود تعمل منه الخفاف ، فظنّه ممّا ينسج . واُلتمس بعضهم له

مخرجاً فقال : أراد بالنسج هنا : المعالجة والعمل . وقال آخر : بل أراد أنّها لغرّتها وقلّة تجاربها ظنّت أنّ اليرندج منسوج .

قلنا : ولا نخال النصوص اللغويّة تساعد على الأوّل . أمّا الثانى فكما قال أبو هلال فى الصناعتين : إنّ ألفاظ البيت لا تدلّ عليه .

(ومن قبيله) قول رؤبة :

بل بلد ملء الفجاج قَتَمُهْ   لا يُشترى كتّانه وجَهْرَمُهْ

وجَهْرَم : قرية بفارس تنسب إليها الثياب والبسط قال أبو عمرو والأصمعىّ : فظنّ رؤبة أنّها ثياب ، وردّ عليهما علىّ بن حمزة البصرىّ فى التنبيهات : بأنّه أراد كتّانة وجهرميّة ، فقطع ياء النسب ، كما قال العجّاج :

يكاد يدرى القَيْقَبان المُسْرَجا

والقيقب : خشب تنحت منه السروج ، فنسب السرج إليه فقال القيقبانىّ ثمّ قطع ياء النسب .

وقد استشهد الوزير البطليوسىّ بهذا البيت فى شرح ديوان أمرىء القيس ، فذهب فيه مذهب أبى عمرو والأصمعىّ حيث قال : « وغلط فى الجهرم ظنّ أنّها ثياب وهو بلد بفارس »

(ومن قبيله) قول الراعى يصف امرأة تدّهن بالمسك :

تكسو المفارق واللَّبّات ذا أرج   من قُصب معتلِف الكافور درّاج

فجعل المسك من القصب ، وهو المِعَى ، وكأنّه لمّا سمع أنّه من دابّة ظنّها تعتلف الكافور فيتحوّل فى أمعائها إلى مسك ويجتنى منها وخطّأه أبو حنيفة الدينورىّ فى كتاب النبات فى قوله يصف إبلاً :

لهـا فأرة ذفراء كلّ عشيّة ... كما فتق الـكافورَ بالمسك فاتقُهْ[١]

فقال : « ظنّ أنّه يفتق به ، وكان الراعى أعرابيًّا قحًّا ، والمسك لا يفتق بالـكافور » ولـكنّ علىّ بن حمزة البصرىّ ردّ عليه فى التنبيهات بقوله : « أمّا قوله : والمسك لا يفتق بالـكافور فصحيح ، ولم يقل الراعى كما فتق المسك بالـكافور ، وإن كان المسك لا يفتق بالـكافور فإنّ الـكافور يفتق بالمسك . وجعل الراعى أعرابيًّا قحًّا ، ونسبه إلى الجفاء ، وأوهم أنّه قد غلط ، وخطّأه فى شىء لم يقله ، اللهمّ إلاّ أن يكون عند أبى حنيفة أنّ الـكافور لا يفتق بالمسك ، ويكون قد غلط هو فى العبارة وعكسها ، فيـكون فى هذه الحالة أسوأ حالاً منه فى الأولى ، ويكون قليل الخبرة بالطيب وعمله واُستعماله ، ولا رائحة أنمّ[٢] من الـكافور إذا فتق بالمسك ، يشهد بذلك بنو النعمة والعطّارون قاطبة » انتهى .

(ومن قبيله) قول رؤبة :

هل يعصمنّى حَلِف سِخْتِيتُ ... أو فضّة أو ذهب كبريت[٣]

قال اُبن الأعرابىّ والأصمعىّ وغيرهما : ظنّ رؤبة أن الـكبريت

---

(١) إذا رعت الإبل العشب وزهره ، ثم شربت وصدرت عن الماء نديت جلودها ففاحت منها رائحة طيبة ، فيقال لتلك : فأرة الإبل . والذفر : شدة ذكاء الريح من طيب أو نتن ، والمراد هنا الأول . وفتق الطيب : خلطه بغيره لاستخراج رائحته .

(٢) فى نسخة التنبيهات (١١ : ٢٠٤) : أخم بدل أنم ، والسياق لا يقتضى الوصف بالرائحة الخبيثة المتغيرة ، ولا نظنه إلا خطأ من النساخ ، وصوابه : (أنم) كما أثبتناه ، وهو من قولهم : نم المسك : إذا سطع .

(٣) السختيت (بكسر فسكون) : الشديد .

ذهب . وفى العقد : سمع بالكبريت أنه أحمر فظن أنه ذهب . وفى شفاء الغليل : « وذكره رؤبة فى شعره بمعنى الذهب ، وخُطِّىء فيه لأنّ العرب القدماء يخطئون فى المعانى دون الألفاظ » .

قلنا : ولا يخرج ما فى اللسان عن ذلك ، ولكنّه ذكر تفسير الكبريت بالذهب الأحمر فى قولٍ لبعضهم ، وهو كما لا يخفى يناقض ما أُعترض به هؤلاء الأئمّة ، فلعلّه حدث بعد نظم البيت وبنى على ما فيه وثوقاً من قائله بالشاعر وليحقّق .

(ومن قبيله) قول أبى ذؤيب فى وصف الدرّة :

فجاء بها ما شئت من لَطَمِيّة ... يدوم الفُرات فوقها ويموج[1]

قالوا : والدرّة لا تكون فى الماء العذب ، وإنما تكون فى الماء الملح ، كذا فى اللسان والعقد والوساطة وما يجوز للشاعر فى الضرورة وغيرها . وذكر أبو هلال فى الصناعتين : أنّ من يحتجّ له يرى أنّ مراده ماء الدرّة ، وقد وقفت فى شرح السيرافى على كتاب سيبويه على تفصيلٍ لذلك بما نصّه : « قال الأصمعىّ : هذا غلط ، وذلك أنّه ظنّ أنّ اللؤلؤ يخرج من الماء العذب لبُعده عن مواضع اللؤلؤ ، ومعنى يدوم الفرات فوقها ويموج : أى يسكن مرّة ويهيج أخرى بالريح أو زيادة الماء . وذكر بعض أهل اللغة : أنّ هذا صحيح ، وأنّ الأصمعىّ هو الغالط ،

---

(١) اللطمية (بفتحتين) نسبة إلى اللطمية (بفتح فكسر) : وهى الدواب التى تحمل العطر والبز ونحوهما غير الميرة . ورواية اللسان فى (دوم) : تدوم البحار الخ قال: ورواه بعضهم : يدوم الفرات ، وهذا غلط لأن الدر لا يكون فى الماء العذب .

وكيف يذهب هذا على أبى ذؤيب ، وهو من هذيل ، ومساكنهم جبال مكة المطلّة على البحر ومواضع اللؤلؤ ، وإنما أراد أبو ذؤيب بالفرات هاهنا ماء اللؤلؤة الذى قد علاها وجعله فراقاً ، إذ كان أعلى المياه ما كان فراقاً . وقوله : يدوم الفرات ، أى يسكن . ويموج ، أى يضطرب إنما أراد أنه يسكن فى الناظر مرّة ، ويضطرب أخرى لصفائها وبريقها ، وأنّ الماء هو ماء اللؤلؤة » انتهى .

(ومن ذلك) قول لَبِيد :

ومقـــام ضيّـق فرّجته   بمقامِى ولســـانى وجَدَلْ
لو يقـــوم الفيل أو فيّاله   زلّ عن مثل مقامِى وزحل(١)

أى لو يقوم الفيل أو صاحبه فى هذا المقام لزلّ وتنحّى ، ولم يثبت مثل ثباتى ، ولا معنى لذكر الفيّال هنا ، ولكنّه لمّا سمع بعظم خَلْق الفيل وشدّة أيده ، ظنّ أنّ لسائسه مثل قوّته فأخطأ .

(ومنه) قول الآخر :

وألين من مسّ الرخامات يلتقى   بعـــارنه الجادىّ والعنبر الورد

أنشده السيوطىّ فى المزهر ، ونقل عن القالى فى أماليه أنّه قال : « غلط الأعرابىّ لأنّ العنبر الجيّد لا يوصف إلاّ بالشهبة » .

قلنا : البيت وارد فى الأمالى ، وهو من أبيات أوّلها : (سقى دمنتين ليس لى بهما عهد) وليس فى النسخة المطبوعة ما نقل فى المزهر من الانتقاد ، فلعلّ القالى ذكره فى كتاب آخر له .

(١) فى رواية أخرى : (زاح) بدل زل ، ومعناه تنحى .

(ومنه) قول خالد بن زهير :

وقاسَمَهـــا بالله جَهْـدًا لأنتمُ   ألذّ من السَلْوَى إذا ما نَشُورُها

ظنّ السلوى العسل فقال نشورها ، أى تجنيها من الخليّة . قال الزجّاج : أخطأ خالد إنّما السلوى طائر ، وتمحّل الفارسىّ فى الردّ عليه بأنّ السلوى كلّ ما سلاّك . وقيل للعسل : سلوى لأنّه يسليك بحلاوته ، وتأتّيه عن غيره ممّا تلحقك فيه مؤونة الطبخ وغيره من أنواع الصناعة انتهى ولا يخفى ما فيه .

القسم الثاني

وكما أنّهم يخطئون فيما لم يَرَوْه ويعهدوه ، نراهم يخطئون أيضاً فيما نشأوا عليه ، وألفوا رؤيته صباح مساء . ومأتى هؤلاء من تعرّضهم لما عرفوا جملته ، ولم يحيطوا بتفصيله، لأنّ المعرفة تتفاوت كثرةً وقلّة بحسب ملابسة الأشياء ومجانبتها ، فمن كان أشدّ علاقةً بالشيء كان بالضرورة أخبر به وأبصر ممّن ضعفت علاقته به ، أو قصرت معرفته له على مجرّد الألف والمشاهدة . ألا ترى أنّ قيّم الغراس لايجهل السيف ، كما لا يجهله سائر العرب ، ولكنا إذا اُختبرناه فيه لا نصيب عنده من العلم به وبدقائق أجزائه ومختلف حالاته وصفاته ما نصيبه عند الطبّاع والصيقل . وكذلك نرى صاحب الظلف أعرف بالشاة والعنز منه بالفرس والبعير ، وصاحب الخيل أبصر بها من الملاّح أو البزّاز ، وقس على ذلك سائر الأمور فى الكثير الغالب ومن هذه الناحية تطرّق الخطأ لرؤبة فى قوله يصف فرساً ويذكر قوائمه :

بأربع لا يعتنفن العَفْقا[1] يهوين شتّى[2] ويقعن وَفْقا

---

(١) اعتنف الشيء : جهله . والعفق : شدة العدو .

(٢) كذا فى اللسان والديوان والموشح وغيرها ، ورواه الزجاجى فى أماليه : (مثنى) .

لجعله يضبر ، أى يجمع يديه ثمّ يثب فيقع مجموعةً يداه ، وهو عيب ، لأنّ الجياد من الخيل لا تقع حوافرها معاً ، وإنّما المستحبّ من الفرس أن يسبح بيديه . ولمّا قيل له : أخطأت يا أبا الجَحَّاف[1] جعلته مقيّداً يضبر ، قال : أى بنىّ لا علم لى بالخيل ، ولكن أدنى من ذنب البعير أصفه كما يجب ، قال الأصمعىّ : فأُدنى منه فلم يصنع شيئاً .

(ومثله) قول أبى النجم يصف فرساً أجراه فى الحلبة :

يسبح أخراه ويطفو أوّلهْ

قال الأصمعىّ : أخطأ فى هذا لأنه إذا سبح أخراه كان حمار الكسّاح أسرع منه ، وإنّما يوصف الجواد بأنّه تسبح أولاه وتلحق رجلاه ، كذا فى الأغانى . وفى العقد: أنّ اضطراب مؤخّر الفرس قبيح ، والوجه ما قال أعرابىّ فى وصف فرس أبى الأعور السلمىّ .

مرّ كلمع البرق ناظرهْ   يسبح أولاه ويطفو آخره

فما يمسّ الأرض منه حافره

وقال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء : « وكان أبو النجم وصّافاً للفرس وأخذ عليه فى صفته يسبح أخراه ويطفو أوّله[2] » ثمّ ذكر قول الأصمعىّ ولم يزد ، ولكنّ علىّ بن حمزة البصرىّ نقل عنه فى التنبيهات قولاً عن غير الأصمعىّ فيه تصويب لما فى الرجز ، فلعلّه ذكره فى كتاب آخر غير

---

(١) بفتح الجيم وتشديد الحاء المهملة كنية رؤبة .

(٢) يستفاد من هذا أن كثرة وصف الشىء لا تعصم القائل من الخطأ فيه إذا لم يكن عليما به .

الطبقات . وعزا عليّ بن حمزة انتقاد الأصمعيّ إلى تعصّبه على أبى النجم ومن يستقر كلامه فى هذا الكتاب يجد عجباً من تعصّبه هو على الأصمعيّ وردّه ما يقول بحقّ وبغير حقّ ، وكان خيراً له أن يعتذر هنا لأبى النجم اعتذار رؤبة لنفسه .

(وممّا) خُطِّىء فيه أبو النجم ونبّه عنه ابن قتيبة فى طبقات الشعراء قوله فى وصف فرس :

كأنّها مِيجَنة القَصّار[1]

ولم يبيّن وجهه بسوى قوله : إنّ الميجنة لصاحب الأَدَم ، أى الجلد ، وأنّها أيضاً التى يدقّ عليها الأَدَم من حجر وغيره ، فإن كان يريد أنّها لا تكون لقصّار الثياب كما يؤخذ من كلامه وكلام أبى هلال فى الصناعتين فليس بشىء لأنّها تكون لكليهما ، وإن كان الخطأ فى تشبيه الفرس بها فربّما ولكن لم يظهر لنا وجهه

(وممّا) أخطأ فيه أَبو النجم أيضاً قوله فى الإبل :

وهى على عذب روىّ المنهل دَحْل أبى المرقال خير الأَدْحُل

من نحت عاد فى الزمان الأوّل

فى الأغانى : « قال الأصمعىّ : الدحل لا توره الإبل إنّما تورد الركايا ، وقد عيب بهذا وعيب بقوله فى البيت الذى يليه : إنّ هذا الدحل من نحت عاد ، قال : والدُحْلان لا تحفر ولا تنحت إنّما هى خروق

(١) الميجنة (بكسر الأول) : مدقة القصار وصانع الجلد ، أى الخشبة التى يدق بها .

وشعاب فى الأرض والجبال لا تصيبها الشمس فتبقى فيها المياه ، وهى هوّة فى الأرض يضيق فمها ثمّ تتّسع فيدخلها ماء السماء » .

(وممّا) أخطأ فيه فى الإبل أيضاً قوله يصف ورودها :

جاءت تَسامَى فى الرعيل الأوّل والظلّ عن أخفافها لم يَفْضُل

فقوله : والظلّ لم يفضل عن أخفافها يدلّ على أنّها وردت الماء فى الهاجرة . والعرب إنّما تصف الورود غلساً والماء بارد كقول الشاعر :

* فوردت قبل الصباح الفاتق *

وقول الآخر :

* فوردت قبل تبيّن الألوان *

وقول لبيد :

* إنّ من وردىَ تغليسَ النَّهَلْ *

(وممّا) خطّأوا فيه أبا النجم قوله فى وصف راعى الإبل :

* صُلْبِ العصا جافٍ عن التغزّل *

قالوا : ولا يوصف الراعى بالصلابة على إبله . والعرب إذا أرادت وصفه قالت : (هو ضعيف العصا) كأنّه لحسن رعايته لا يحتاج إلى شدّة وغلاظة كما قال الشاعر :

ضعيف العصا بادى العروق ترى له عليها إذا ما أمحل الناس إصبعا[1]

---

(١) الإصبع هنا : كناية عن الأثر الحسن ، ويروى (أجدب) بدل أمحل ، وقد ضمنه الشهاب الخفاجى فى قوله وأورده فى كتابه السوانح :

أرى النيل فى مصر له كل منة على أهلها إذ عمم الخير أجمعا
أياديه قد فاضت وزاد له الوفا عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا

صَدَى إبلٍ أن تتبع الريح مرّة يدعها ويخفى الصوت حتّى تربّعا[1]
إذا سرحت من مبركٍ نام خلفها بميثاء مبطان الضُّحَى غير أروعا[2]
لهـــا أمرها حتّى إذا ما تبوّأت بأخفافهـــا مأوى تبوّأ مضجعا

فهذا ما توصف به حذّاق الرعاة . ومثله قول الراجز :

إذا الركاب عرفت أبا مَطَـــرْ مشت رويداً وأسفّت فى الشجر

لأنّها ألفت منه الرفق بها وتركها ترعى كما تشاء . وقيل : لم يرد أبو النجم بصلابة العصا شدّته عليها ، وإنّما أراد وصفه بصلابة الظهر وقوّة البدن ، كما يقال : فلان صلب القناة . وقيل : بل أراد أنّه صلب العصا على الحقيقة لأنّ الراعى إذا كان جلداً صارماً اختار عصاه من أصلب ما يقدر عليه ، وإلاّ هلكت إبله وضاعت ، وعبثت بها الوحوش والسابلة . وقد أطال علىّ بن حمزة البصرىّ فى التنبيهات فى الانتصار له بما لا يخرج عمّا ذكرناه

وقد آن لنا أن ندع أبا النجم وننتقل إلى الملك الضِّلّيل لنرى كيف ضلّ فى وصف فرسه فقال :

فللسوط أُلْهُوب وللساق دِرَّة وللزجر منه وقع أخرج مُهْذِب[3]

الألهوب والدرّة : شدّة الجرى : والأخرج ، الظليم . والمهذب : السريع العدو . أراد امرؤ القيس أن يصف فرسه بالسرعة ، فذكر أنّه

---

(١) صدى إبل ، أى رفيق بسياستها ، عالم بها وبمصلحتها ، يقال : فلان صدى مال وصدى إبل إذا كان كذلك .

(٢) الميثاء (بفتح الأول) : الأرض اللينة السهلة .

(٣) ويروى : (وللزجر منــه وقع أهوج منعب) وهو من النعب ، أى السير السريع .

يضرب به بالسوط فيلهب ، ويركضه بساقه فيدرّ جريه ، ويزجره فيقع الزجر منه موقعه من الظليم فيعدو عدوه . قالوا : ولو أستعين بهذه الأشياء على أخسّ حمار وأضعفه فعدا لم يستحقّ أن ينعت بالسرعة . ويقال : إنّ أوّل من عاب عليه هذا البيت أمرأته أمّ جندب لمّا أحتكم إليها هو وعلقمة أبن عَبَدة الفحل فى أيّهما أشعر ؟ فقالت : سمعتك زجرت وضربت وحرّكت ، وفرس أبن عبدة أجود من فرسك حيث يقول فيه :

فأقبل يهوى ثانياً من عنانه   يمرّ كمرّ الرائح المتحلّب

فغلّبت علقمة عليه ، ولله درّ أبن المعتزّ فإنّه ذكر السياط ولكنّه أحترس أحتراساً حسناً فقال :

صببنا عليها ظالمين سياطنا   فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ

فقوله : ظالمين من أحسن ما يحترس به هنا

(وممّا) أُخذ على أمرئ القيس قوله فى وصف فرس أيضاً :

لها متنتان خظاتا كما   أكبّ على ساعديه النَّمِرْ(١)

ومعنى الخظاة : المكتنزة ، أراد لها متنان كثيرا اللحم كساعدى النمر البارك فى الغلظ ، وليس هذا ممّا تمدح به الجياد ، وإنّما المستحبّ فى المتن والوجه التعريق كما قال طفيل :

* معرّقة الألحى(٢) تلوح متونها *

(١) متنتا الظهر ومتناه : مكتنفا الصلب ، وأراد بخظاتا : (خظاتان) فحذف النون ، أو أراد خظتا فأشبع ، والكلام فيه لا يحتمله المقام .

(٢) الألحى : جمع لحى ، وهو ما ينبت عليه العارض ، والمراد جانب الوجه .

وفى اللسان . « ويستحبّ من الفرس أن يكون معروق الخدّين قال :

قد أشهد الغـارة الشعواء تحملنى جرداء معروقة اللحيين سُرْحوب

ويروى : معرقة الجنبين ، وإذا عرى لَحْياها من اللحم فهو من علامات عتقها ، وفرس معرّق : إذا كان مضمّراً ، يقال : عرّق فرسك تعريقاً ، أى أجره حتّى يعرق ويضمر ويذهب رهل لحمه » انتهى .

(وتبعه) أبو ذؤيب الهذلىّ فقال فى فرس :

قصَرَ الصبوحَ لهـا فشُرّج لحمها بالنَّىّ فهى تتوخ فيها الإصبع[1]

تأبى بدرّتها إذا ما استكرهت إلاّ الحميمَ فإنّه يتبضّـــع

أى قصر صاحبها عليها اللبن فسمنت حتّى شرَّج لحمها بالنىّ ، أى خلط بالشحم فلو غمزته بإصبعك تاخت فيه ، فجعلها كثيرة اللحم رخوة ، وهو عيب ، لأنّ الجياد توصف بقلّة لحمها وصلابته ، وأمّا الذى قاله فالأحرى به شاة يضحّى بها قالوا : وأخطأ فى البيت الثانى أيضاً فقال : تأبى بدرّتها ، أى تأبى الجرى إذا أكرهت عليه فجعلها حرونًا إذا حرّكت قامت ، وأخذ الحميم ، أى العرق ، يتبضّع منها ، أى يتفجّر ويسيل . قال أبو هلال فى الصناعتين : وما وصف أحد الفرس بترك الانبعاث إذا حرّكت غير أبى ذؤيب ، وإنّما توصف بالسرعة فى جميع حالاتها إذا حرّكت أو لم تحرّك ، فتشبّه بالكوكب والبرق والحريق والريح إلى آخر ما ذكره .

---

(١) ويروى : (تثوخ) بالمثلثة . وهما بمعنى ساخ فى الشىء ، أى دخل وخاض فيه .

وقيل : كان أبو ذؤيب لا يجيد وصف الخيل فظنّ أنّ هذا ممّا توصف به .

قلنا : وفى الذى أخذوه عليه فى البيت الثانى نظر لأنّه علق إباءها على الإكراه ، والمعروف فى صفة الفرس الجواد أنّك إذا حرّكته للعدو أعطاك ما عنده عفواً ، فإذا أكرهته بساق أو بسوط لتحمله على الزيادة حملته عزّة نفسه على ترك العدو فهو يقول : إنّها تأبى بدرّتها عند إكراهها ولا تأبى العرق ، كذا فى اللسان وشرح ديوانه .

(ومنه) قول سامة بن الخرشب :

إذا كان الحزام لقُصْرييه أماماً حيث يمسك البَرِيم[1]

قال القاضى الجرجانى فى الوساطة : « يقول : إنّ الحزام يقرب فى جولانه إذا أكثر من عدوه فيصير أمام القصريين . قال الأصمعىّ : أخطأ فى الوصف لأنّ خير جرى الإناث الخضوع ، وإنّما يختار الإشراف فى جرى الذكور ، فإذا اُختضعت تقدّم الحزام كما قال بشر بن أبى خازم :

تسوّق للحزام بمرفقيها يسدّ خواء طبييها الغبار[2]

وقد ساعد متمّم بن نويرة على هذا الوصف سامة فقال :

---

(١) القصريان : ضلعان تليان الترقوتين ، والرواية فى نسخة الوساطة : (لقصرييها) ولا يخفى أنه يذكر فرساً ذكراً فالوجه (لقصرييه) وإلا لا يصح الانتقاد . والبريم هنا : خيط تعقد عليه العوذة ويعلق على صدر الفرس (راجع مادة جلب فى اللسان ص ٢٦٤

(٢) الخواء (بالفتح) : الفرجة التى بين رجلى الفرس ، ويقال أيضاً : دخل فلان فى خواء فرسه : يعنى ما بين يديه ورجليه . والطبى (بضم الأول وكسره وبسكون الثانى) : حلمة الضرع .

وكأنّه فوق الحبائل جائباً ريم تضايقه كلاب أخضع[1]

فوصف الذكر بالخضوع وإنّما يختار له الإشراف » انتهى .

(ومنه) قول عدىّ بن زيد فى صفة فرس :

فصاف يفرّى جُلَّه عن سراته يبذّ الجياد فارهاً متتايعا[2]

أى صاف هـذا الفرس يشقّ جلّه عن ظهره من السمن . قالوا : وقد أخطأ فى قوله فارهاً لأنّه لا يقال للفرس: فاره ، وإنّما يقال له : جواد وكريم وعتيق ، وأمّا الفاره فالكودن والحمار والبغل . وفى لسان العرب : « زعم أبو حاتم أنّ عديًّا لم يكن له بصر بالخيل وقد خُطّئ عدىّ فى ذلك » . ووقفت فى نبذة عندى مخطوطة منقولة من الفوائد النجفيّة لسليمان بن عبد الله البحرانىّ على نقول من كتاب لحن العامّة لأبى حاتم السجستانىّ ، منها قوله : « ويقال : فرس رائع ولا يقال : فاره ، الفاره للحمار والكلب ، وفى شعر عدىّ فارهاً متتايعاً فسألت الأصمعىّ عنه فقال : لم يكن صاحب خيل ، قلت : فيقال : برذون فاره ، فقال : لعلّه ، ولعلّه يقال فى البختىّ » .

(وممّن) أخطأ بوضع الغلظ موضع الدقّة كعب بن زهير فى قوله يصف الناقة :

---

(١) الأخضع : المطاطئ الرأس ، وهو صفة للريم ، وجاء فى حواشى نسخة لوساطة : « وفى نسخة ثانية فوق الجوالب بدل فوق الحبائل » وليحقق هذا الشطر .

(٢) رواية (جله) هى المذكورة فى مادة فره من اللسان وفى كتب الأدب كالعقد وغيره . وروى (جلده) فى مادة فرا من اللسان وفسره بأنه صاف يكاد يشق جلده عما تحته من السمن . والتتايع : الإسراع .

ضخم مقلّدها عبل مقيّـــدها في خلقها عن بنات الفحل تفضيل

فقد عـدَّ أبو هلال فى الصـناعتين قوله : ضخم مقلّدها من خطإ الوصف لأنَّ النجائب توصف بدقّة المذبح ، وهو قول غيره من الأئمّة أيضاً .

(ومثله) قول الشمّاخ فى ناقته :

فنعم المُعْتَرَى ركدت إليـه رحا حيزومها كرحا الطحين[1]

الحيزوم : الصدر . والرحا الأولى : الـكركرة ، وهى ما يمّس الأرض من صدر البعير إذا برك ، شبّهها فى العظم بالرحا التى يُطحن بها . قال المرزبانىّ فى الموشّح : وإنّما توصف النجائب بصغر الـكركرة ولطف الخفّ . وذكر ابن رشيق فى العمدة : أنّ الأصمعىّ خطّاه فى هذا لأنّه ظنّه يصفها بالـكبر ، وهو عيب لا محالة ، وإنّما وصفها بالصلابة لا غير . وفى الصناعتين لأبى هلال : «وقال : من احتجّ للشمّاخ إنّما شبّهها بالرحا لصلابتها كما قال :

* قلائص يطحنّ الحصا بالـكراكر * »

(وأخطأ) أبو النجم فى وصفه بالقصر ما يوصف بالسبوطة ، فقال فى البعير :

* أخنس فى مثل الـكظام مخطمهْ »

الأخنس : القصير الأنف . والمخطم : الأنف ، يقول : كأنّ أنفه

---

(١) المعترى بصيغة اسم المفعول : المقصود طلباً لمعروفه . وركدت : سكنت وهدأت .

لقصره مشدود بحبل . قال أبو هلال : إنّه من خطإ الوصف لأنّ المشافر إنّما توصف بالسبوطة .

(ومن) وضع الشيء في غير موضعه قول المتلمّس[1] :

وقد أتناسى الهمّ عند احتضاره   بناجٍ عليه الصَّيْعَرِيّة مكدم

الناجى هنا : البعير السريع . والصيعريّة : سمة للإناث خاصّة توسم بها الناقة فى عنقها ، وهو وسم لأهل اليمن فأخطأ المتلمّس فى جعلها للفحول وسمعه طرفة بن العبد ، وهو صبىّ ، ينشد هذا البيت فقال : (استنوق الجمل) أى صار ناقة ، فضحك الناس وسار قوله مثلاً

(وقال) لبيد :

ولقد أُعْوِص بالخصم وقد   أملأ الجفنة من شحم القلل

أعوص به ، أى ألوى عليه أمره والقلل : جمع قلّة ، وهى أعلى السنام . قال أبو هلال والمرزبانىّ : أراد السنام ولا يسمّى السنام شحماً .

(ومن) الخطإ فى المعانى ما رواه المرزبانىّ فى الموشّح قال : قال الأصمعىّ : قرأت على أبى عمرو بن العلاء شعر النابغة الذبيانىّ فلمّا بلغت قوله :

مقذوفة بدَخِيس النحض بازلُها   له صريف صريف القَعْو بالمَسَد[2]

---

(١) نسبه المرزبانى فى الموشح للمسيب بن على ، وذكر أن قصة طرفة كانت معه ، ومثله فى الموازنة للآمدى واللسان وسر الفصاحة . ونسب للمتلمس فى الصناعتين وطبقات الشعراء لابن قتيبة والعقد الفريد وما يجوز للشاعر فى الضرورة للتميمى .

(٢) دخيس النحض : اللحم الكثير المكتنز ، يريد أنها ناقة سمينة . وقوله : بازلها أى نابها له صوت كصوت القعو بالمسد، أى البكرة بالحبل .

قال لى : ما أضرّ عليه فى ناقته ما وصف ، فقلت له : وكيف ؟ قال : لأنّ صريف الفحول من النشاط ، وصريف الإناث من الإعياء والضجر ، كذا تكلّمت العرب ، فرآنى بسكوتى مستزيدا فقال : ألم تسمع قول ربيعة بن مقروم الضبىّ :

كِناز البَضِيع جُماليّة   إذا ما بغمن تراها كَتُوما[1]

وكما قال الأعشى :

كتوم الرُّغاء إذا هَجَّرت   وكانت بقيَّة ذَوْد كُتُم[2]

وكما قال الأعشى أيضا :

والمكاكيك والصحاف من الفضّة والضافرات تحت الرحال[3]

انتهى . قلنا : والنصوص اللغويَّة التى وقفنا عليها تؤيّد ما ذهب إليه ابن العلاء ، وهو ما حكاه أيضا الوزير أبو بكر البطليوسىّ فى شرح ديوان النابغة ، غير أنه ذكر قولا آخر عن أبى زيد بأنّ الصريف يكون فى الإناث والفحول من النشاط ومن الإعياء ، قال : والبيت لا يحتمل أن يكون إلا من النشاط . ثم نقل قولا آخر عن القُتَبِىّ بأن الناس

---

(١) معناه : أنها ناقة كثيرة اللحم تشبه فى خلقها الجمال تراه لاتبغم إذا بغمت النوق من الإعياء .

(٢) هجرت : سارت فى الهاجرة والذود : النوق ما بين الثلاث إلى العشر على الأشهر . ومثله قول الآخر : (كتوم الهواجر ما تنبس) . وقول الطرماح :

قد تجاوزت بهلواعة   عبر أسفار كتوم البغام

(٣) المكاكيك : مكوك ، وهو طاس للشرب أعلاه ضيق ووسطه واسع . والضامزات : التى لا ترغو .

يغلطون فى مراد النابغة ، فيقولون : إنه وصفها لذلك لنشاطها ، وليس هو كذلك ، ولكنه أراد أنّى تركتها بعد ما كانت فيه من الشدَّة يصرف نابها . والصريف : إذا كان من الإناث فهو من الإعياء .

(ومنه) قول بَشامة بن الغَدِير يصف راحلته :

وصدر لها مهيع كالْخَلِيفِ   تخال بأنَّ عليه شَلِيلا

أى لها صدر واسع كالطريق فى الجبل تخال عليه مسحا من صوف ، أو شعر ، لكثرة ما عليه من الوبر . قال ابن رشيق فى العمدة : إن الأصمعىّ خطَّأه فيه لأن من صفة النجائب قلّة الوبر

(ومنه) قول عمر بن لَجإ من أرجوزة وصف فيها إبله ، فجعلها كالجبال فى عظم الخلق ، ثم قال فى فحلها :

* كالظَّرِب الأسود من ورائها *

والظرب : الجبل الصغير ، ولا يوصف الفحل بأنه أصغر من إناثه فى الخلقة ، وقد عابه عليه جرير ، فكان أحد الأسباب التى أهاجت الهجاء بينهما . وتفصيل الكلام فى ذلك فى خزانة البغدادىّ (١ : ٣٦١) .

(ومنه) قول طَرَفة بن العَبْد فى وصف نعجة :

من الزَّمِرات أسبل قادماها   وضرَّتها مركَّنة دَرُور

الزمرات : القليلات الصوف ، وخصَّها بالذكر لأنها أغزر ألبانا . والقادمان : الخِلْفان اللذان فى الأمام ، ويقال لما وراءهما : الآخران . والمركَّنة : التى لها أركان . والدرور : الكثيرة الدرّ .

يقول : هذه النعجة أسبل خلفاها القادمان ، وضرّتها مملوءة تدرّ باللبن ، وهذا من الخطأ ، لأن النعجة ليس لها إلاّ خلفان ، وإنّما يصحّ ذلك فى الناقة ، لأنَّ لها أربعة أخلاف قادمان وآخران . قال المرزبانِىّ فى الموشَّح بعد أن أورد هذا البيت : « لا يكون القادمان إلاّ لما له آخران ، وتلك الناقة لها أربعة أخلاف . ومثله قول امرئ القيس :

إذا مُشَّت قوادمها أرنَّت كأنَّ الحىّ بينهم نَعِىّ »

انتهى . قلنا : هو من أبيات قالهـا لمَّا نُهبت إبله ، ووهبـه بنو نبهان معزى بدلها . والمعنى : إذا مُسحت قوادمها عند الحلب صاحت كما يصيح قوم لنعىّ أتاهم . والخطأ على هذه الرواية كالخطأ فى قول طَرَفة ، لأنّ المعزى ليس لها إلاَّ خلفان ، وهى رواية تفرَّد بها المرزبانىّ . والمعروف : (إذا مشَّت حوالبها) ويروى : (إذاما قام حالبها) . وما أحسن ما عزّى امرؤ القيس به نفسه فى ختام هذه الأبيات فقال :

فتملأ بيتنا أَقِطًا وسمنـــا وحسبك من غنًى شبع ورىّ

(ومنه) قول رؤبة :

وكلّ زَجَّاء سُحام الخَمْل تبرى له فى زعلات خُطْل[1]

الزجَّاء : النعامة . وسحام الخمل : سوداء الريش . وتبرى : أى تنبرى وتتعرّض . والزعلات : الخطل النشيطات المضطربات . يقول : هذه الإناث من النعـام تنبرى وتتعرّض للظليم — أى ذكرها — وهى فى

(١) الزعلات (بالزاى) عن الديوان وشرحه ، وورد فى بعض الـكتب الرعلات (بالراء) ولعلها رواية أخرى ، والرعلة : النعامة .

طائفة من نوعها نشيطات مضطربات بالتلوّى والتبختر . قال أبو هلال وابن عبد ربّه وابن قتيبة : أخطأ فى جعله للظليم عدّة إناث كما يكون للحمار ، وليس للظليم إلاّ أنثى واحدة .

(ومنه) قول ذى الرمّة يصف حُمُراً وحشيّة :

فأقبل الحُقْب والأكباد ناشزة فوق الشراسيف من أحشائها تجب
حتّى إذا زلجت عن كلّ حنجرة إلى الغليل ولم يقصعنه نُغَب
رمى فأخطأ والأقدار غالبة فانصعن والويل هِجِّيراه والحَرَب

معناه : أقبلت الحقب — أى الحُمُر — وأكبادها تضطرب خوفا من الصائد حتّى إذا وردت الماء ودخلت منه نغب إلى أجوافها لم تكسر غليلها رماها فأخطأها وتفرّقت عنه . قال أبو عمرو والأصمعىّ : وليس هذا من جيّد الوصف لأنها إذا شربت ثقلت وإن كانت لم ترو : يريدان أنّ الثقل يقلّل نشاطها فى العَدْو ويمكّن الصائد منها ، فكأنّه وصفها بما يفيد عكس ما أراد . وقد أصاب علىّ بن حمزة البصرىّ فى الردّ عليهما فى التنبيهات بما نصّه : « وهذا غلط إنّما تثقل إذا رويت ، وأمّا إذا شربت قليلا فإنّه يقوّيها على العَدْو ، ولولاه لهلكت عطشا . وقد زاده شرحا بقوله فى غير هذه الكلمة :

فانصاعت الحقب لم تقصع صرائرها وقد نشحن فلا رىّ ولا هِيمُ [1]

---

(١) أى ذهبت هذه الحمر الوحشية هاربة بعد أن شربت شرباً قليلا لم تقطع به عطشها فهى لا رواء ولا عطاش .

ولولا صحة ما قال لم يقل العجّاج :

حتّى إذا ما بلّت الأغمارا ريًّا ولمّا تقصع الأصرارا
أجلى نفارا وانتحت نفارا »

انتهى . (ومنه) قول رؤبة :

كنتم كمن أدخل فى جُحْرٍ يدا فأخطأ الأفعى ولاقى الأسودا

يريد : نجوتم من شرّ فوقعتم فى أشدّ منه . قالوا : وقد أخطأ فى ظنّه الأفعى دون الأسود ، وهى أشدّ مضرّة ونكاية منه .

(وممّا) خطّأوا فيه المسيّب بن علس قوله :

وكأنّ غاربها رباوة مَخْرِمٍ وتمدّ ثنى جديلها بشراع

أراد وصف هذه الناقة بطول العنق . وتشبيهه بالدَّقَل[1] ، وهو خشبة طويلة تشدّ فى وسط السفينة يمدّ عليها الشراع فقال : كأنّ زمامها ممدود بشراع لطول عنقها ، فأخذوا عليه ذكره الشراع بدل الدقل . وقال بعضهم : إنّما أراد بالشراع : الدقل إذ كان الشراع منوطاً به ، ومثله لا يعدّ خطأ ، ولمن يريد أن يخطّئه من وجه آخر أن يقول : أراد أن يمدحها فذمّها لأنّ طول العنق فى الإبل هجنة عند أبى عمرو والأصمعىّ ، وكانا يعيبان على رؤبة قوله فى وصف بعير :

عن دوسرىّ بتِعٍ ململمهْ فى جسم خدل صاهىٍّ عَمَمُهْ[2]

---

(١) الدقل (بفتحتين) : هو ما يسمى عند الملاحين بالصارى على ما فى اللسان .

(٢) جمل دوسرى : قوى ضخم ذو هامة ومناكب . وبتع الململم : أى طويل العنق مع شدة مغرزه . والخدل : العظيم الممتلئ . والصلهبى : الشديد . وعممه : أى تامه .

غير أنّ عليّ بن حمزة البصريّ خطّأهما فى هذا الزعم فقال فى التنبيهات : « قولهما طول العنق هجنة ردّ على كلام العرب المأثور ، وشعرهم المشهور ، لا على رؤية وحده ، وهذا سبيلٌ من ركبه ضُلِّل ، ومن نصره جُهِّل » ثمّ أورد قول من قال : (أبين الإبل عتقا أطولها عنقا) وساق عشرين شاهداً من كلام العرب تفنّد ما ذهبا إليه .

(ومنه) قول أيمن بن خُرَيْم [1] يمدح بشر بن مروان :

وإنّا قد رأينـــا أمّ بشر كأمّ الأُسْد مذكاراً ولودا [2]

قالوا : أخطأ فى أن جعل أمّ الأسد ولوداً لأنّ الحيوانات الكريمة عسرة نزرة النتاج ، والصواب قول كُثَيِّر :

بُغاث الطير أكثرها فراخاً وأمّ الصقر مِقْلات نَزُور

كذا فى الموازنة والصناعتين ، وهو المعروف المشهور .

ومثله ما أنشده صاحب اللسان فى مادّة (قلت) لبعضهم :

لنا أمّ بها قَلْتٌ ونزر كأمّ الأُسْد كاتمة الشَّكاه

(ومنه) قول العجّاج يصف بعيره :

كأنّ عينيه من الغؤور قَلْتانِ أو حوجلتا قارور

صيّرتا بالنضح والتصبـــير صلاصلَ الزيت إلى الشطور

القلت (بفتح فسكون) : النقرة فى الجبل تمسك بالماء . والحوجلة : القارورة . والصلاصل هنا : بقايا الزيت ، شبّه عينيه حين غارتا بقارورتين بقى ما فيهما من الزيت إلى نصفيهما بسبب النضح . قالوا : وقد أخطأ

---

(١) بالراء مصغراً .

(٢) رواية قدامة فى نقد الشعر : (وإنا قد وجدنا) .

لأنّه جعل الزجاج ينضح ويرشح ، وإنّما تنضح الجرار ونحوها .

(ومنه) قول يزيد بن محمّد المهلّبيّ من أرجوزة :

حتّى إذا السرب أُنبرى فاُجتهدا حطّت عليهنّ البُزاة مددا
تجمع منها كلّ ما تبـــدّدا تصـيد بحراً وتصيد جَدَدا
من كلّ ما أحببتَ أن تَصَيَّدا سمكةً أو طائراً أو أسدا

قال المزربانىّ فى الموشّح : « قال محمّد : أحال فى هذا البيت لأنه ذكر البزاة ، وليس السمك من صيد البزاة » .

(ومنه) قول حُمَيد بن ثَوْر[1] :

لمّـا تخايلت الحمول حسبتها دَوْماً بأيلةَ ناعماً مكموما[2]

والتكميم لا يكون إلاّ فى النخل ، وهو أن تجعل الكبائس فى أكمّة تصونها كما تجعل عناقيد الكرم فى الأغطية كما فى المخصّص . ولم يكن هذا العربىّ يجهل النخل والدوم ، ولكنّه لمّا رآهم يكمّون النخل ورأى الدوم يشبهه ظنّ أنّه يكمّ مثله لجهله بالغرس وتعهّد أنواع الغراس . قال التميمىّ فى ما يجوز للشاعر فى الضرورة : ومن يحتجّ له يرويه : (نخلاً) .

وفى معناه قول النابغة الجعدىّ :

كأنّ تَوالِيَها بالضـــحى نواعم جَعْل من الأثْأب[3]

(١) كذا فى ما يجوز للشاعر فى الضرورة ، ونسبه فى العقد الفريد لأبى الطمحان القينى

(٢) أيلة (بالتحتية) : مدينـة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام . وفى بعض الروايات فى البيت : (أثلة) بالمثلثة ، وهو موضع قرب المدينة ، وتطلق أيضاً على قرية بالجانب الغربى من بغداد .

(٣) توالى الخيل والإبل : مآخرها ، وكذلك توالى كل شىء . والأثأب : ضرب من الشجر .

وقد أخطأ فيه أيضاً ولكن من وجه آخر لأنّه شبّه المطىّ بصغار النخل ، والوجه أن توصف بالكبر والعظم كما فعل حميد . قال القاضى الجرجانىّ فى الوساطة : « والجَعْل : صغار النخل ، وإنّما المراد الكبار ، وبه يصحّ الوصف فيما زعموا » انتهى .

وفى طبقات الشعراء لابن قتيبة : أنّ الذى أُخذ عليه فيه جعله الجَعْل من الأثْأب ، قال : « ولا أراه إلاّ صحيحاً على التشبيه ، كأنّه أراد نواعم أثْأب كالجَعْل ، وقد تسمّى العرب الشىء باسم الشىء إذا كان له مشبهاً ، ولعلّ الأثأب أن تكون تسمّى أفناؤه[1] جَعْلاً ، كما تسمّى أفناء النخل وقصاره جعلاً » انتهى ولا يخلو من نظر .

(ومنه) قول المَرّار بن مُنقذ يصف نخلاً :

كأنّ فروعها فى كلّ ريح ‏ ‏ ‏ ‏ جوارٍ بالذوائب ينتصينا

يريد : كأن هذه النخل إذا أمالتها الريح وتلاقى سعفها جوار يتنازعن ويتبارين بأن تأخذ الواحدة بناصية الأخرى . فذهب أبو عمرو والأصمعىّ إلى أن المرّار لم يكن له علم بالنخل فى وصفها بتقارب النِّبْتات لأن أفضل الغرس ما بُوعد بينه . وممّا وضعته العرب على ألسنة الأشياء قول النخلة الأخرى :

أبْعِدِى ظِلّى من ظِلّكِ ‏ ‏ ‏ ‏ أَحْمِلْ حَمْلِى وحَمْلَكِ

وتبعهما أبو حنيفة الدينورىّ فى كتاب النبات ، فقال فى تفسير هذا البيت :

---

(١) كذا بالنسخة ، ولعل الصواب : (أفتاء) بالمثناة الفوقية جمع الفتى من الحيوان وتوسع هنا فأطلقه على النبات .

هذا من التقارب حتّى ينال سعف بعضه سعف بعض، وذلك هو الحَصَر، أى التضايق. وردّ عليهم علىّ بن حمزة البصرىّ فى التنبيهات بكلام طويل خلاصته: أنّ الحَصَر تقارب ما بين الأصول وهو مذموم، وخطّأهم فى زعمهم أنّ النخل يتناصى من الحصر لأنّ سبيله أن يباعد بين غرسه، ولكن من جيّد نعته أن يمتدّ جريده ويكثر خوصه ويتّصل بعضه ببعض حتّى لا تُرى منه الشمس، ويمنع الطير من أن تشقّه، وإنّ ما روى عن الأصمعىّ على لسان النخلة نقله عنه أبو حنيفة، وهو مخالف لما نقله عنه أبو حاتم فقال: «قال الأصمعىّ: فى مَثَل للفرس والنبط: تقول النخلة لأختها: تباعدى عنّى، وأنا أحمل حملك وحملى» أى فلم يذكر فيه تباعد الظلّ. ثمّ صوّب قول المرّار وقال: لا شىء أحسن من هذا الوصف للنخل، واستشهد على صحّة كلامه بقول ذكوان العجلىّ:

نواضرَ غُلْباً قد تدانت رءوسها ... من النبت حتّى ما يطير غرابها[1]
ترى الباسقات العمّ منها كأنّها ... ظعائن مضروب عليها قبابها[2]
بعيدة بين الزرع لا ذات حشوة ... قصار ولا صعل سريع ذهابها

(ومنه) قول أَوْس بن حَجَر:

كأنّ ريقتها بعد الكرى اُغتبقت ... من ماء أدكن فى الحانوت نضّاح[3]
أو من مشعشة كالمسك تشربها ... أو من أنابيب رمّان وتفّاح

(١) الغلب: جمع غلباء، وهى الحديقة المتكاثفة الملتفة.
(٢) العم من النخل: التامة فى طولها والتفافها.
(٣) أى من خمر دن أدكن اللون.

قال أبو هلال فى الصناعتين : « ظنّ أنّ الرمّان والتفّاح فى أنابيب . وقيل : إنّ الأنابيب : الطرائق التى فى الرمّان ، وإذا حمل على هذا الوجه صحّ المعنى »

(ومنه) قول بعضهم فى وصف سيف :

* وأبيض أُخْلِص من ماء اليَلَبْ *

قال ابن مُنْقذ فى كتاب البديع : « والسيوف لا تعمل من ماء اليَلَب لأن اليَلَب جلود تتّخذ منها دروع منسوجة ، فتوهّم الشاعر أنّها حديد» . ورواه القاضى الجرجانىّ فى الوساطة : (ومِحْوَر) بدل وأبيض ، ولعلّ المراد الحديدة التى تدور عليها البكرة ، وقد خطّأه فيه أيضاً فقال : « جعل اليلب حديداً وهى سيور » .

قلنا : هما تابعان فى ذلك لابن دُرَيد لأن اليلب ليس عنده الحديد . وذهب غيره إلى أنّه الحديد ، وفسّره به فى قول عمرو بن كلثوم :

علينا البَيْض واليلب اليمانى وأسياف يقمن وينحنينا

وعلى هذا فلا خطأ ، ولكنّ ابن السِّكّيت خطّأ الراجز من وجه آخر فقال بعد ذكره لبيت ابن كلثوم : سمعه بعض الأعراب فظنّ أنّ اليلب أجود الحديد فقال : (ومحور أخلص من ماء اليلب) وهو خطأ إنّما قاله على التوهّم . انتهى .

(ومنه) قول زهير :

يحيل فى جـدول تحبو ضفادِعه   حبوَ الجوارى ترى فى مائه نُطُقا(١)
يخرجن من شَرَبات ماؤها طَحِل   على الجذوع يخفن الغمّ والغرقا(٢)

ففى العقـد والوساطة والموشّح وسرّ الفصاحة والموازنة والصناعتين وطبقات الشعراء لاُبن قتيبة : أنه أخطأ فى ظنّه أنّ الضفادع تخرج من الماء مخافة الغمّ والغرق ، وإنما تخرج لتبيض وتفرخ فى الشطوط . وقال الأعلم فى شرحه لديوان زهير : « قوله : يخفن الغمّ والغرقا توهّم أن خروج الضفادع مخافة الغرق فغلط ، ويقال : إنما قال ذلك ليخبر بكثرة الماء واُنتهائه ، فأشار إلى ذلك بذكره الغرق وإن كانت لا تخاف ذلك » ، ونحوه فى العمدة لاُبن رشيق ، وخلاصة ما قال : إنّه لم يرد أنّها تخاف الغرق على الحقيقة ، وإنما أراد المبالغة فى كثرة ماء هذه الشربات ، واُقتدى فيه بقول أوس بن حجر :

فباكرن جوناً للعـلاجيم فوقه   مجالس غرق لايُحلّأ ناهـلُهْ(٣)

(وممّا أخذوه) على طرفة قوله فى وصف ناقته :

وأتلع نهّاض إذا صـعّدت به   كسُكّان بوصىّ بِدجْلة مُصْعِد

أراد : لها عنق أتلع : أى طويل يرتفع إذا أشخصته فى سيرها ، فهو كسكّان سفينة مصعدة فى دجلة ، والسكّان (بضم الأوّل وتشديد الكاف) : ذنب السفينة الذى يقوّم به سيرها ويعدّل ، ويقال له أيضا :

---

(١) النطق : الطرائق التى تعلو الماء .

(٢) الشربات : جمع شربة (بفتحتين) وهى كالحويض يحفر حول النخلة والشجرة ويملأ ماء لتروى منه .

(٣) العلاجيم هنا : الضفادع ، واحدها علجوم . وحلأه عن الماء : طرده ومنعه .

الخيزرانة والكوثل . وتسمّيه العامّة بمصر الآن (الدَّفّة) . فذهب القاضى الجرجانىّ فى الوساطة إلى أنّه أخطأ ، لأنه أراد تشبيه عنقها بالدَّقَل : أى خشبة الشراع ، فذكر بدله السكّان .

قلنا : ولا ريب فى خطئه إذا كان أراد ذلك ، غير أنّ البيت يحتمل وجهين آخرين لا خطأ فيهما ، أحدهما : أن يكون شبّهه بالسكّان نفسه ، أى الذنب لا الدقل ، وهو ما يؤخذ من معاجم اللغة وشروح المعلّقات التى بأيدينا . والثانى : أن يكون شبّهه بالسكّان مريدا به شيئا آخر غير الذنب ، وهو المفهوم من شرح الأعلم الشنتمرىّ لديوان طرفة ، فقد فسّر السكّان فى هـذا البيت بعود المركب . والمتبادر أنّه يريد بالعود شيئا كالدقل ، أى (الصارى) وهو تفسير كاد يتفرّد به ، ولم نقف على ما يماثله سوى فى قول علىّ بن حمزة فى التنبيهات : « شبّه عنقها بسكّان سفينة من سفن دجلة ، وربّما كان أطول من الدقل وشرّ أحواله أن يكون بطول الدقل » انتهى . فدلّ بقوله هذا على أنّه شىء يشبه الدقل ، ولكنّه أطول منه ، وقد يكون بطوله فى أقلّ حالاته ، ولا يخفى أنّ الذنب له طرف قائم ، ولكنَّه لا يبلغ فى حال من الأحوال مثل هذا الطول ، فلا ريب فى أنّ المراد بالسكّان فى هذا القول شىء غيره ، ولعلّه العود الطويل الذى يمدّ عليه الشراع ثمّ يناط معترضا بالدقل . وتسمّيه العامّة بمصر : (القَرْية) فإنّها تكون عادة أطول من (الصارى) ، وهى محرّفة عن (القَرِيّة) بفتح فكسر وتشديد الياء . وقد فسّرت فى اللغة بعود

الشراع الذى فى عرضه من أعلاه ، غير أنّنا لم نر من نصّ على تسمية هذا العود بالسكّان أيضا فليحقّق .

(ومنه) قول عنترة :

وخـلا الذباب بها فليس ببارح   غَرِداً كفعل الشارب المترنّم
هَزِجًا يحكّ ذراعه بذراعه   قَدْحَ المكبّ على الزناد الأجذم

أى أنّ الذباب يصوّره حال حكّه إحدى ذراعيه بالأخرى ، مثل قدح رجل ناقص اليد قد أقبل على قدح الزناد . وجاء فى مجلّة البيان للعلّامة اليازجىّ : أنّ صوت البعوض والذباب والنحل وأشباهها يحدث من اهتزاز أجنحتها فى الهواء على حدّ ما يكون من أجنحة الحمام وعلى هذا ففى قول عنترة تناقض ظاهر لأنّه لا يمكن أن يحكّ الذباب إحدى ذراعيه بالأخرى إلّا وهو واقع ، ومتى كان واقعا تكون أجنحته ساكنة فلا يمكن أن يصوّت ، ولكنّ عنترة توهّم أن صوته من حنجرته فلم يمتنع عنده الجمع بين هاتين الحاليتين . انتهى بمعناه وأكثر لفظه .

القسم الثالث

ومن أسباب الوهم فى المعانى أستهواء المبالغة للشاعر ، وتجاوزها به حدًّا إذا تعدّاه عكس عليه مقصده ، كما فعل أمرؤ القيس لمّا أراد المبالغة فى وصف ذنب فرسه بالطول فقال :

لها ذنب مثل ذيل العروس تسدّ به فرجها من دُبُرْ

يريد بالفرج: الفضاء الذى بين الرجلين ، وإذا كان الذنب كثيفاً طويلاً سدّ هذا الفضاء حتّى لا يبين . وطول الذنب مستحبّ فى الخيل ، ومن دلائل عتقها وكرمها ، ولكن إلى حدّ ألاّ يكون كذيل العروس يُجرّ على الأرض لأنّه إذا بلغ الأرض وطئه الفرس برجله ، وربّما عثر به ، وهو عيب . وتبعه فى ذلك من المولّدين البحترىّ فقال :

ذنب كما سُحب الرداء يذبّ عن عُرْف وعرف كالقناع المسبل

والجيِّد من ذلك قول أمرئ القيس فى المعلّقة :

ضليع إذا أستدبرته سدّ فرجه بضافٍ فويق الأرض ليس بأعزل

فوصفه بالطول إلاّ أنه جعله فويق الأرض فلم يقع فيما وقع فيه فى بيته المتقدّم . أمّا كونه أراد فى ذلك البيت بذيل العروس الطول المذموم فهو ما ذهب إليه أبن سنان فى سرّ الفصاحة وعابه عليه وقال أبن رشيق فى العمدة : « أراد طوله لأنّ العروس تجرّ ذيلها إمّا من الحياء ، أو من

الخيلاء » . ومن يحتجّ له يقول إنّما أراد بهذا الوصف الكثافة والطول الممدوح ، وهو رأى الآمدىّ ، ونصّ عبارته فى الموازنة(١) : « وما أرى العيب لحق امرأ القيس فى هذا لأنّ العروس وإن كانت تسحب ذيلها ، وكان ذنب الفرس إذا مسّ الأرض عيباً فليس بمنكر أن يشبَّه به الذنب وإن لم يبلغ أن يمسّ الأرض لأنّ الشىء إنّما يشبّه بالشىء إذا قرب منه أو دنا من معناه ، فإذا أشبهه فى أكثر أحواله فقد صحّ التشبيه ولاق به ، وامرؤ القيس لم يقصد أن يشبّه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط ، وإنَّما أراد السبوغ والكثرة والكثافة ، ألا تراه قال : (تسد به فرجها من دبر) وقد يكون الذنب طويلاً يكاد يمسّ الأرض ولا يكون كثيفاً ، بل يكون رقيقاً نزر الشعر خفيفاً فلا يسدّ فرج الفرس ، فلمّا قال : تسدّ به فرجها علمنا أنّه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول ، فإذا أشبه الذنب الذيل من هذه الجهة ، وكان فى الطول قريباً منه فالتشبيه صحيح ، وليس ذلك بموجب للعيب ، ولا أن يكون ذنب الفرس من أجل تشبيهه بالذيل ممّا يحكم به على الشاعر أيضاً أنّه قصد إلى أنّ الفرس يسحبه على الأرض ، وإنّما العيب فى قول البحترىّ : (ذنب كما سحب الرداء) فأفصح بأنَّ الفرس يسحب ذنبه .

ومثل قول امرىء القيس قول خداش بن زهير :

لها ذنب مثل ذيل الهَدِىِّ إلى جؤجؤ أيّد الزافر

(١) نقلها عنه البغدادى فى الخزانة (٤ : ٢١) ووقعت فى كلتى النسختين أغلاط فأثبتنا ما صح من العبارتين .

والهدىّ : العروس التى تهدى إلى زوجها . والأيّد : الشديد . والزافر : الصدر لأنّها تزفر منه ، فإنّما أراد بذيل العروس طوله وسبوغه ، فشبّه الذنب السابغ به وإن لم يبلغ فى الطول إلى أن يمسّ الأرض » انتهى كلام الآمدىّ .

ولم يكتف امرؤ القيس بأن جعل ذنب فرسه يجرّ على الأرض إن صحّ أنّه أراد ذلك حتّى أبرز لنا وجه هذه الفرس مجلّلاً بشعر الناصية لا تكاد تبصر منه الطريق فقال :

وأركب فى الروع خيفانة   على وجهها سَعَف منتشرْ[1]

وكأنّه خشى أن يظنّ بها السَّفَى ، وهو خفّة الناصية ، فوصف شعرها بالطول والكثرة ، وحملته المبالغة على جعله كالسعف على وجهها وقد عاب عليه هذا الوصف شارح ديوانه الوزير البطليوسىّ ، وأبو هلال فى الصناعتين ، وابن سنان فى سرّ الفصاحة ، والجرجانىّ فى الوساطة ، والمرزبانيّ فى الموشّح . وروى الآمدىّ فى الموازنة عن أبى حاتم عن الأصمعىّ ما نصّه : « شبّه شعر الناصية بسعف النخلة ، والشعر إذا غطّى العين لم يكن الفرس كريما ، وذلك هو الغمم ، والذى يحمد من النواصى[2] الجَثْلة ، وهى التى لم تفرط فى الكثرة ، فتكون الفرس غمّاء ، والغمم مكروه ، ولم تفرط فى الخفّة فتكون سفواء ، والسَفَى أيضا مكروه فى الخيل » انتهى .

(١) فى نسخة الوساطة : (شعر منتشر) .

(٢) فى الأصل : (فى الناصية) ومعنى الجثل من الشعر : الكثير الملتف ، أو ما غلظ منه وقصر .

قلنا : ومنه يعلم ما فى قول البحترىّ فى بيته المتقدّم : (وعرف كالقناع المسبل) وعنـدنا أنه أشدّ تغلغلاً فى الخطإ من وصف أمرئ القيس .

وكأننا بالطرمّاح أشفق أن يكون ذنب ناقته دون ذنب فرس أمرئ القيس ، ولم يفطن إلى أنّ طول الذنب فى الإبل غير مستحسن فقال :

تمسح الأرض بمُعْنَوْنِس مثل مئلاة النياح القيام[١]

فأخطأ خطأين كان فى غِنًى عنهما ، لولا أنّ المبالغة أستدرجته إلى الأوّل فتمهّد له السبيل إلى الثانى .

أمّا الأوّل : فجعله الذنب يمسح الأرض ، وإذا كان طوله قبيحا مذموما فى الإبل فبلوغه إلى هذا الحدّ أقبح وأدعى إلى الذمّ .

والثانى : أنه أراد أن يشبّهه بثوب يجرّ ولم يشأ أن يسلب أمرأ القيس ذيل عروسه ، فشبّهه بخرقة النائحة ، وهى لا تجرّها على الأرض ، ولا تبلغ فى الطول أن تصلح لذلك ، وإنما هى كالمنديل تمسكها بيدها وتشير بها إذا قامت تنوح .

هذا تفسير ما أجمله المرزبانىّ فى الموشّح عن هـذا البيت بقوله : « أفصح بأنّ الذنب يمسّ الأرض وأساء فى التشبيه أيضا » . وتبعه البحترىّ ، ولـكنه أقتصد هذه المرّة فى الطول فقال :

---

(١) المعنونس : الذنب الطويل . والمئلاة : خرقة تمسكها النائحة بيدها إذا قامت للنياحة.

سيحمل همّى عن قريب وهمّتى　　قرى كلّ ذَيّال جلال جلنفع

أى سيحمل همّى وهمّتى ظهر كلّ جمل طويل الذنب غليظ شديد . قال أبو العلاء المعرّىّ فى عبث الوليد : « وصفه الجمل بذيّال قلّما يستعمل ، إنّما يوصف بذلك الفرس والثور الوحشىّ » .

وكما أنّ طول الذنب غير ممدوح فى الإبل فإنّ كثرة شعره غير ممدوح أيضاً فى نجائبها ، وقد جمعهما طرفة لناقته فقال :

كأنّ جناحى مضرحىّ تكنّفا　　حِفافَيْه شُكّا فى العَسِيب بِمسْرد

أى كأنّ جناحى نسر عتيق عظيم تكنّفا جانبى هذا الذنب وشكّا فى عظمه بمخصف . قال المرزبانىّ فى الموشّح : « إنما توصف النجائب برقّة شعر الذنب وخفّته ، وجعله هذا كثيفا طويلا عريضا » ومثله فى الصناعتين لأبى هلال وقال التبريزىّ فى شرح المعلّقات : «قال الأصمعىّ : يستحبّ من المهارىّ أن تقصر أذنابها ، وقلّ ما ترى مهريًّا إلاّ ورأيت ذنبه أعصل كأنّه أفعى » إلاّ أنه قال بعد ذلك : « وقال غيره : كلّ الفحول من الشعراء وصفوا الأذناب بكثرة الهُلْب ، منهم أمرؤ القيس وطرفة وعيينة بن مرداس وغيرهم » .

قلنا : ولا نخالهم فعلوا ذلك إلاّ المبالغة فيما كان الأَولى فيه القصد .

ومن هذا النوع قول ذى الرُّمّة فى ناقته :

تُصغى إذا شدّها بالكور جانحة　　حتّى إذا ما أُستوى فى غرزها تثب

يقول : هى مؤدّبة ليست بنفور تميل رأسها لصاحبها كأنها تستمع إذا

شدّها بالرحل ، ثم أراد أن يصفها بالنشاط فجعلها تثب عند وضع رجله فى ركابها ، وهى مبالغة جعلت نشاطها هوجاً ورعونة . وفى العقد الفريد والموشّح : أنَّ أعرابيًّا سمعه ينشد هذا البيت فقال : صُرع والله الرجل . وقيل : إنه أنشده أبا عمرو بن العلاء فقال له : ما قاله عمّك الراعى أحسن ممّا قلت ، وهو :

ولا تعجل المرء قبل الورو ك وَهْىَ بركبته أبصر

وهى إذا قام فى غرزها كمثل السفينة أو أوقر

فقال ذو الرُّمّة : إن الراعى وصف ناقة ملك ، وأنا أصف ناقة سوقة . قال المرزبانىّ فى الموشّح : «أراد أن يحتال فلم يصنع شيئا» وذهب علىّ بن حمزة البصرىّ فى التنبيهات إلى أنه لم يخطئ ، وأن ما روى عنه من الاُعتذار حكاه الأصمعىّ فكذب فيه ، وأنّ مراد ذى الرُّمَّة حتّى إذا ما اُستوى على ظهرها ، وإذا كان كذلك فقد اُستوى فى غرزها ، ثم قال : «وأبو عمرو مع عيبه بيت ذى الرُّمّة قد أنشد مثله فى نوادره ، بل هو أشدّ سرعة من بيت ذى الرُّمّة ، وهو :

إذا وضعت فى غرزها الرجل أجفلت كما أجفلت بيدانة أمّ تولب

ثمّ لم يعب هذا البيت» انتهى .

ولو قال قائل : ما المانع من أن يكون أكثر ما ذكر فى هذا القسم والذى قبله لم يرد به قائلوه إلاّ ذكر الواقع ، فما على من كانت ناقته ضخمة المقلّد ، أو فرسه مسحوب الذنب على الأرض إذا وصفهما بحقيقة ما فيهما

قلنا : لو كانوا أرادوا ذلك لما وجد العلماء سبيلا إلى تخطئتهم والنعى عليهم ، كما فعلوا مع من نهج منهج الحقيقة من الشعراء ، وإنما أخذوا على هؤلاء ما أخذوه ، لأنَّهم ذكروا أشياء حاولوا وصفها بما يحمد فى نوعها ، فتخيّلوا لها أحسن ما تنعت به من النعوت ، ولحقهم الخطأ فى بعضها لجهلهم بخصائص ما ينعتون ، ولو أنّ رؤبة أراد وصف ذاك الفرس بحقيقة ما فيه لما قال لمن خطّأه : « أى بنىّ لا علم لى بالخيل ، ولكن ادننى من ذنب البعير » كما تقدّم .

القسم الرابع

ومن الأوهام في المعانى ما لا يرجع لسبب من الأسباب المتقدّمة فلا يصحّ عدّه من أحد أقسامها ، كأن يصنع الشاعر لفظة فى موضع لا تصلح له لا لجهله بالشئ كما تقدّم ، بل لسهو أو خطإٍ فى تقديره ، أو أن يسىء فى التعبير إساءة تحيل المعنى وتفسده ، إن لم تعكس الغرض المقصود منه ، أو أن يأتى بكلام غير متلائم الأجزاء ، أو فاسد التقسيم ، أو التشبيه أو غير ذلك ممّا يشبهه ويجرى مجراه . وكثيراً ما تنشأ هذه الأوهام من التساهل ، إمّا لثقة الشاعر بقدرته وبمكانة شعره فى النفوس ، أو لكلال يلحق طبعه فى بعض الأحيان فيلقى بالكلام على عواهنه فى البيت والبيتين من القصيدة ، ثمّ تمنعه تلك الثقة أو الضجر أو ضيق الوقت من إعادة النظر فيما قال .

(فمن ذلك) قول النابغة الذبيانىّ :

ماضى الجنان أخى صبر إذا نزلت   حرب يوائل منها كلّ تنبال

يوائل: يطلب الموئل ، وهو الملجأ . والتنبال : القصير ، أو الجبان وذكره هنا مفسد لمعنى البيت قال أبو هلال : « ليس القصير بأولى بطلب الموئل من الطويل ، وإن جعل التنبال الجبان فهو أبعد من الصواب لأنّ الجبان خائف وجل اُشتدّت الحرب أم سكنت » . ومثله فى الموشّح للمرزبانىّ باُختلاف فى العبارة .

وقال النابغة أيضاً يصف ناقته[1] :

تحيد عن أَسْتَنٍ سود أسافله مشى الإماء الغوادى تحمل الحُزَما

الأستن (بوزن أحمر) : شجر إذا نظر الناظر إليه من بُعد شبّهه بشخوص الناس ، كذا فى اللسان . وقال الأعلم الشنتمرىّ فى شرح الديوان : « شبّه الأستن فى سواد أسافله وطوله بإماء سود يحملن الحزم ، وأوقع التشبيه فى اللفظ على المشى لأَنَّه السبب فى ظهور أسافلهنّ وتبيّن سوادهنّ ، وإنّما خصّ اللواتى تحمل الحزم لأنهنّ إذا كانت عليهنّ الحزم مددن أيديهنّ فكان أطول لهنّ » . وفى شرح الوزير أبى بكر البطليوسىّ : « شبّه سواد أسافل هذا الشجر وما فوق ذلك من فروعه اليابسة بإماء سود على رءوسهنّ حطب لأَنّ لون هذا الشجر إذا كان أسفله أسود وأعلاه يابس الأَغصان فكأنّه حطب على رءوس إماء سود » . والذى عيب عليه فى هذا البيت من فساد المعنى قوله : (الغوادى) لأَنّ الإماء تحمل الحطب بالعشىّ وهنّ روائح ، وأمّا إذا غدون إلى الصحراء فإِنّهنّ مخفَّات . قالوا : والجيّد قول التغلبىّ :

تظلّ بها رُبْد النعام كأنّها إماء تُزَجَّى بالعشىّ حواطب

وقد شبّه النعام بالإماء الحواطب لأنّ النعامة إذا خفضت عنقها ومشت كانت أشبه شىء بماشٍ وعَلَى ظهره حمل . وقال أبو هلال فى بيت النابغة : « وقد روى : مثل الإماء ، وإذا صحّت الرواية سلم المعنى » .

قلنا : لم يظهر لنا وجه سلامة المعنى على هذه الرواية لأَنّ أبا هلال

(١) قال بعضهم : إنه فى وصف ثور ، ورواه (يحيد) .

لم يعب عليه قوله : (مشى الإماء) بل عاب عليه كغيره قوله : (الغوادى) وتغيير مشى بمثل لا يجعل تلك الإماء روائح حتّى يسلم المعنى به ، وإنّما الذى ينتصر للنابغة يقول : أراد أنّ الإماء تغدو لتحمل الحطب رواحاً . وقال علىّ بن حمزة البصرىّ فى التنبيهات : « كان أبو عبيدة يقول : لم يقله النابغة إلاّ عشاء تحمل الحزما » .

(وقال) النابغة أيضاً يصف ثوراً :

من وحش وجرة موشىّ أكارعه ‏‏ طاوى المَصِير كسيف الصيقل الفرد

قال أبو هلال : « أراد بالفرد أنّه مسلول من غمده ، فلم يبن بقوله الفرد عن سلّة بياناً واضحاً . والجيّد قول الطرمّاح وقد أخذه منه :

يبدو وتضمره البلاد كأنّه ‏‏ سيف على شرف يُسلّ ويغمد

وهذا غاية فى حسن الوصف » ومثله فى طبقات الشعراء لاُبن قتيبة .

(وممّا خطّأوا) فيه النابغة أيضاً قوله :

ألكنى يا عُيَيْن إليك قولاً ‏‏ ستحمله الرّواة إليك عنّى

ألكنى : أى كن رسولى وبلّغ أُلُوكتى : أى رسالتى . وفسّره أبو هلال بأرسلنى فقال منتقداً البيت : « وليس من الصواب أن يقال : أرسلنى إلى نفسك ثمّ قال : ستحمله الرواة إليك عنّى » وقال الآمدىّ : « قالوا : ألكنى : أى كن لى رسولاً ، فكيف يكون ألكنى إليك عنّى ، فاُعتذر له الأَصمعىّ وقال : أهذا ممّا حملته الرواة عن النابغة ، كأنّه يدفع أن يكون قاله » .

قلنا : من فسّره بأرسلنى راعى اللفظ فقط ، ومن فسّره بكن رسولى

راعى المعنى ، ففى اللسان أنّ مقتضى لفظ : (ألِكنى إليها برسالة) أن يكون أرسلنى إليها برسالة إلاّ أنّه جاء على القلب ، إذ المعنى : كن رسولى إليها بهذه الرسالة ، فاللفظ يقضى بأنّ المخاطَب مرسِل ، والمتكلّم مرسَل ، وهو فى المعنى بعكس ذلك . انتهى ملخّصاً .

والذى أنكره هؤلاء الأئمّة أجازه صاحب اللسان فقال : « وقد يكون المرسَل هو المرسَل إليه ، وذلك كقولك : ألِكنى إليك السلام ، أى كن رسولى إلى نفسك بالسلام ، وعليه قول الشاعر » ثم استشهد بالبيت[1] هذا فيما يتعلّق بالصدر ، وأمّا إنكارهم قوله بعد ذلك : ستحمله الرواة إليك عنّى ، فإنّ رواية الديوان وشروحه التى بأيدينا : « سأهديه إليك إليك عنّى » وفسّره الأعلم بقوله : أى كفّ عنّى فى أمر إخوانى بنى أسد ، وكان عيينة بن حصن سام قوم النابغة أن ينقضوا حلف بنى أسد فتوعدّه النابغة بالهجاء والحرب .

(وممّا عابوه) على النابغة قوله :

فإنّك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأَى عنك واسع

فقال المعترضون : تشبيهه الإدراك بالليل يساويه إدراك النهار فلمَ خصّه دونه ، وإنّما كان سبيله أن يأتى بما ليس له قسيم . هذا خلاصة ما قيل فى البيت ، والكلام فيه كثير حتّى عدّه بعضهم فى نقد الشعر

---

(١) روايته له :

ألِكنى يا عتيق إليك قولا ستهديه الرواة إليك عنى

والظاهر أن لفظ : (عتيق) من تحريف النساخ ، والصواب : (عيين) لنص الأعلم فى شرحه لديوان النابغة على أنه يخاطب عيينة بن حصن .

من باب العبث ، وهو أن يقصد الشاعر شيئاً من الأَشياء ليس لذكره فائدة. وقال المعتذرون للنابغة : إنّما خصّ الليل بالذكر لأنّه وصفه فى حال سخطه فشبّهه بالليل وهَوْله ، وهى كلمة جامعة لمعانٍ كثيرة . وقيل : ذكر الليل لأنّه أهول ، ولأنّه أوّل ، ولأنّ أكثر أعمالهم كانت فيه لشدّة حرّ بلدهم ، فصار ذلك عندهم متعارفاً .

(وممّا خطّأوه) فيه قوله :

كأنّ حِجاج مقلتها قليب ‍ ‍ ‍ ‍ من الشِّيقين حلّق مستقاها

الحجاج : العظم الذى ينبت عليه شعر الحاجب . والقليب : البئر . والشيقان : موضع . وحلّق مستقاها : غار ماؤها والحجاج لا يوصف بأنّه غائر كالقليب ، وهذا ممّا لا يخفى على أحد .

ومن ذلك قول بعضهم :

ونطعنهم حيث الكُلَى بعد ضربهم ‍ ‍ ‍ ‍ ببيض المواضى حيث لىّ العمائم

أراد هذا الشاعر أن يذكر شجاعتهم ، ويصف بأسهم فى قتال أعدائهم ، فأتى بما يدلّ على عكس ما أراد ، لأنّهم إذا ضربوهم بالسيوف مكان لىّ العمائم : أى فى رءوسهم ولم يموتوا ، واُحتاجوا بعد ذلك إلى طعنهم بالرماح فى كلاهم ، فقد فعلوا فعل الجبان الخائف غير المتمكّن من قتل قرنه ، وهذا ممّا لا يفتخر به ، وإنّما الجيّد قول بلعاء بن قيس :

غشيته وهو فى جأواء باسلة ‍ ‍ ‍ ‍ عضباً أصاب سواء الرأس فاُنفلقا

بضربة لم تكن منّى مخالسة ‍ ‍ ‍ ‍ ولا تعجّلتها جبناً ولا فَرَقا

(ومن فاسد) التشبيه قول بشر بن أبى خازم :

وجرّ الرامسات بها ذيولاً كأنّ شَمالها بعد الدَّبُور
رماد بين أظآر ثلاث كما وُشم النواشر بالنؤور

والشمال والدبور لاتشبّهان بالرماد ، وإن كان أراد ماتخلّف من فعل الشمال والدبور ، فقد أساء التعبير ، وقصّر فى بيان مراده .

(ومن قبيله) قوله أيضاً يصف سفينة :

أجالد صفّهم ولقد أرانى على زوراء تسجد للرياح
إذا ركبت بصاحبها خليجاً تذكّر ما لديه من جُناح
ونحن على جوانبها قعود نغضّ الطرف كالإبل القماح

وهو ممّا عابه عليه ابن قتيبة فى طبقات الشعراء ، لأنّ معنى غضّ طرفه كسره وأطرق ولم يفتح عينيه والإبل القماح : هى الرافعات رءوسها عن الماء ممتنعة من الشرب ، فكيف يشبّه المطرق بالرافع رأسه . ولكن من يراجع مادّة (قمح) فى اللسان لا يعدم للكلام مخرجاً .

(ومن التشبيهات) التى لم تقع موقعها قول ابن هَرْمة :

وإنّى وتركى ندى الأكرمينَ وقدحى بكفّى زناداً شحاحا
كتاركة بيضها بالعراءِ وملبسة بيض أخرى جناحا

وقول الفرزدق [1] :

وإنّك إن تهجو تميما وترتشى سرابيل قيس أو سحوق العمائم [2]

---

(١) كذا فى الموشح وسر الفصاحة ، وهو الصواب الموافق لما فى النقائض . وجاء فى الأغانى أن البيتين لجرير (٨ : ٤٦) من طبعة بولاق .

(٢) رواية الأغانى : (بتابين قيس) .

كمهريق ماء بالفـلاة وغرّه   سحاب أذاعته رياح السمائم

فإنّ بيت ابن هرمة الثانى يليق ببيت الفرزدق الأوّل ، و بيت الفرزدق الثانى يليق ببيت ابن هرمـة الأوّل ، فلو كانا كذلك لـكان كلّ واحد منهما قد شبّه تشبيهاً واضحاً صحيحاً ؛ فأمّا والشعر وما هو عليه فإنّ التشبيه فيه بعيد . كذا فى سرّ الفصاحة لابن سـنان . وعزا صاحب الأغانى هذا النقد لأبى نُوَاس ، فذكر أنّه قال : « شاعران قالا بيتين وضعا التشبيه فيهما فى غير موضعه ، فلو أُخـذ البيت الثانى من شعر أحدهما فجعل مع بيت الآخر ، وأخذ بيت ذاك فجعل مع هذا لصار متّفقاً معنًى وتشبيهاً » وقال بعد إيراد المقطوعين : « ولـكن ابن هرمة قد تلافى ذلك بعد فقال :

وإنّك إذ أطمعتنى منك بالرضا   وأيأستنى من بعد ذلك بالغضبْ

كممكنة من ضرعها كفّ حالب   ودافقة من بعد ذلك ما حلبْ »

انتهى . يريد : أنّه أتى هنا بتشبيه صحيح لا أنّه أصلح به تشبيهه الأوّل فإنّ هذا غير ذاك .

(وممّا وهم) فيه خُفاف بن نُدْبة قوله :

أبقى لهـا التعداء من عَتَداتها   ومتونها كخيوطة الـكتّان

قال المرزبانىّ : « العتدات[1] : القوائم ، أراد : أنّ قوائمها دقّت حتّى عادت كأنّها خيوط ، وأراد ضلوعها فقال متونها » .

(ومثله) قول ابن أحمر :

---

(١) كذا رسمت الكلمة فى نسخة الموشح التى عندنا ، ولم نعثر عليها بهذا المعنى فلتحقق.

غادرنى سهمـه أعشى وغادره   سيف ابن أحمر يشكو الرأس والكبدا

قالوا : أراد غادرنى سهمه أعور فلم يمكنه فقال أعشى . وكان ابن أحمر أعور رماه رجل يقال له مخشىّ بسهم فذهبت عينه .

(ومن الأوهام) قول القائل(١) :

يمشى بها كلّ موشىّ أكارعه   مشى الهرابذ حجّوا بيعة الزّون

الهرابذة : المجوس ، وهم قَوَمة بيت النار . والزّون : الصنم . قال أبو هلال : « الغلط فى هذا البيت فى ثلاثة مواضع ، أحدها : أنّ الهرابذ المجوس لا النصارى . والثانى : أنّ البيعة للنصارى لا للمجوس . والثالث : أنّ النصارى لا يعبدون الأصنام ولا المجوس » .

(وممّا عابه) أبو هلال على ذى الرّمّة قوله :

نغار إذا ما الروع أبدى عن البرى   ونقرى عبيط اللحم والماء جامس

فقال : « لا يقال : ماء جامس ، وإنّما يقال : وَدَك جامس» . قلنا : هو تابع فى ذلك للأصمعىّ . والجامس : الجامد ، يريد : أنّنا نقرى فى الشتاء . وبعض اللغويّين يجيز الجموس فى الماء .

(وعاب) عليه قوله أيضاً :

إذا انجابت الظلماء أضحت رءوسها   عليهنّ من جهد الكرى وهى ظُلَّع

فعدّه من عجائب الغلط ، ونقل عن ابن فروة أنه قال : قلت لذى الرّمّة : ما علمت أحداً من الناس أظلع الرءوس غيرك ! فقال أجل . انتهى .

---

(١) هو لجرير كما فى اللسان ، وروايته له :

يمشى بها البقر الموشى أكرعه   مشى الهرابذ تبغى بيعة الزون

قلنا : لأنّ المعروف فى الظَّلَع أنّه العرج والغمز فى المشى ، وهـذا لا يكون فى الرءوس .

(وعاب) على أبى ذؤيب الهذلىّ قوله :

فما برحت فى الناس حتّى تبيّنت   ثَقِيفاً بزيزاء الأَشـاء قبابُها

الزيزاء : (بكسر الأوّل) : الأَكَم ، واحدتها زيزاءة والأشاء : النخل . قال أبو هلال : « يقول : ما زالت هذه الخمرة فى الناس يحفظونها حتّى أتوا بها ثقيفاً . قال الأصمعىّ . وكيف تحمل الخمرة إلى ثقيف وعندهم العنب ! » ومثـله فى طبقات الشعراء لاُبن قتيبة .

قلنا : الذى فى شرح السكّرىّ لديوان أبى ذؤيب أنّ المعنى : « حملت إلى عُكَاظ لتباع ، وهى دار ثقيف » وعليه فلا خطأ إلاّ أن يكون مراد الشاعر حملت إلى ثقيف نفسها كما فهم الأصمعىّ ، وتبعه فيه أبو هلال واُبن قتيبة .

(وممّا خطّأوا) فيه الشمّاخ قوله :

وأعددت للساقين والرجل والنسا   لجاماً وسرجاً فوق أعوج مختال

قال المرزبانىّ : « وإنّما يلجم الشدقان لا الساقان » .

قلنا : لم يقل الشمّاخ ألجمت الساقين ولا يقوله أحد ، وإنّما قال : أعددت لهما لجاماً وسرجاً ، أى ألجمت فرسى وأسرجته ليعدو ويحرّك ساقيه إلاّ أنّه لم يحسن التعبير .

(وممّا اُستُضعف) من معانى الأعشى قوله :

فرميت غفلة عينه عن شاته   فأصبت حبّة قلبها وطحالها

المراد بالشاة هنا : المرأة . قال المرزبانيّ : « وقد عابه قوم بذلك لأنّهم رأوا ذكر القلب والفؤاد والكبد يتردّد كثيراً فى الشعر عند ذكر الهوى والمحبّة والشوق ، وما يجده المغرم فى هذه الأعضاء من الحرارة والكرب ، ولم يجدوا الطحال أستعمل فى هذه الحال إذ لا صنع له فيها ، ولا هو ممّا يكتسب حرارة وحركة فى حزن ولا عشق ، ولا برداً وسكوناً فى فرح أو ظفر فاستهجنوا ذكره » .

(ومن التناقض) قول المسيّب بن عَلَس :

فتَسَلَّ حاجتها إذا هى أعرضت بخميصة سُرُح اليدين وَساع
وكأنّ قنطرة بموضع كُورها ملساء بين غوامض الأنساع
وإذا أطفت بها أطفت بكلكل نَبِض الفرائص مُجْفَر الأضلاع

فوصف الناقة بأنّها خميصة : أى ضامرة ، ثمّ شبّهها بعد ذلك بالقنطرة ، والقنطرة لا تكون إلاّ عظيمة ، وأكّد ذلك بقوله : مجفر الأضلاع . والمجفر : العظيم الجنين من كلّ شىء ، فكيف تكون خميصة وهذه صفتها .

(ومن التناقض) قول الحطيئة فى ثور وحشىّ :

حرج يلاوذ بالكناس كأنّه متطوّف حتّى الصباح يدور
حتّى إذا ما الصبح شقّ عموده وعلاه أسطع لا يردّ منير
أوفى على عقد الكثيب كأنّه وسط القداح معقّب مشهور
وحصى الكثيب بصفحتيه كأنّه خبث الحديد أطارهنّ الكير

قالوا : زعم أنّه بات يطوف حتّى أصبح وأشرف على الكثيب ، فمن

أين صار الحصى بصفحتيه! وإنّما يلتصق بهما إذا كان راقداً .

(ومنه) قول عُرْوَة بن أُذَيْنة :

نزلوا ثلاثَ منًى بمنزل غبطة　　وهمُ على غرض لعمرك ما همُ

متجاورين بغير دار إقامة　　لو قد أجدّ رحيلهم لم يندموا

قال أبو هلال : « فقال لبثوا فى دار غبطة ، ثمّ قال : لو رحلوا لم يندموا .

ومثله قول جرير :

فلم أر داراً مثلها دار غبطة　　وملقًى إذا اُلتفّ الحجيج بمجمع

أقلّ مقيماً راضياً بمقامه　　وأكثر جاراً ظاعناً لم يودّع

وهل يغتبط عاقل بمكان من لا يرضى به » انتهى .

(ومنه) قول أبن نوفل :

لأعلاج ثمانيـة وشيخ　　كبير السنّ ذى بصر ضرير

لأنّ الضرير إنّما يستعمل فى الأكثر للذى لا بصر له ، فقوله فى هذا الشيخ أنّه ذو بصر ، وأنه ضرير تناقض ، فكأنّه يقول : إن له بصراً ولا بصرَ له ، فهو بصير أعمى ، كذا فى الموشّح للمرزبانىّ ونقد الشعر لقدامة .

قلنا : يطلق الضرير أيضاً على المريض المهزول ، وعلى ذى الزمانة إلاّ أنّ الأكثر اُستعماله لفاقد البصر كما قالا ، ولا نظنّ الشاعر أراد غير الضعف وسوء الحال ، ولكنّه لمّا اُستعمله فى غير ما يستعمل فيه فى الأكثر أتى بما يوهم الخطأ والاُحتراس من مثله أولى .

(ومنه) قول يزيد بن مالك :

أكفّ الجهل عن حلماء قومى وأعرض عن كلام الجاهلينا
إذا رجــل تعرّض مستخفًّا لنـا بالجهل أوشك أن يحينا

قال قُدَامة : « قد أوجب هذا الشاعر فى البيت الأوّل لنفسه الحلم والإعراض عن الجهّال ، ونفى ذلك بعينه فى البيت الثانى بتعدّيه فى معاقبة الجاهل إلى أقصى العقوبات وهو القتل » .

(وممّا عدّوه من التناقض) قول زهير :

قف بالديار التى لم يعفها القــدم بـلى وغيّرها الأرواح والديم[1]

فقالوا : نقض فى عجز هذا البيت ما قال فى صدره ، لأنّه زعم أنّ الديار لم يعفها القدم ، ثمّ انتبه من مرقده فقال : بلى عفاها وغيّرها أيضاً الأرواح والديم . وقال أبو عبيدة : أكذب نفسه فقال : لم يعفها ، ثمّ رجع فقال : بلى . ومن يحتجّ له يقول : مراده أنّ بعضها عفا وبعضها لم يعفُ . وقيل : بل المراد أنّ الديار لم تعف فى عينه من طريق محبّته لها ، وشغفه بمن كان فيها .

ومثله قول امرئ القيس :

فتُوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

ثمّ قوله فى بيت آخر :

وإنّ شــفائى عبرة مُهَراقة فهل عند رسم دارس من معوّل

ومن يذهب إلى عدم التناقض يقول : أراد لم يعف رسم حبّها من قلبى . والأظهر قول بعضهم : أراد لم يقتصر سبب محوها على نسج

---

(١) رواه المرزبانى فى الموشح : (حى الديار) .

الريحين ، بل كان له أسباب منها هذا السبب ، ومرّ السنين ، وترادف الأمطار وغيرها .

وعدّ بعضهم من التناقض قوله فى موضع :

فلو أنّ ما أسعى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليلٌ من المال

ولكنّما أسعى لمجد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالى

وقوله فى كلمة أخرى :

فتملأ بيتنا أَقِطاً وسمناً وحسبك من غنًى شبع ورىّ

لأنّه وصف نفسه فى موضع بسموّ الهمّة وقلّة الرضا بدنىء المعيشة ، وأطرى فى موضع آخر القناعة ، وأخبر عن اُكتفاء الإنسان بشبعه وريّه . وقد ردّ قُدَامة على هذا العائب فقال : « أقول : إنّه لو تصفّح أوّلاً قول اُمرئ القيس حقّ تصفّحه لم يجد معنًى ناقض معنًى ، فالمعنيان فى الشعرين متّفقان إلاّ أنّه زاد فى أحدهما زيادة لا تنقض ما فى الآخر ، وليس أحد ممنوعاً من الاُتّساع فى المعانى التى لا تتناقض ، وذلك أنّه قال فى أحد المعنيين :

فلو أنّ ما أسعى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليلٌ من المال

وهذا موافق لقوله : (وحسبك من غنًى شبع وريّ) ولكنّ فى المعنى الأوّل زيادة ليست بناقضة لشىء ، وهو قوله : لكنّى لست أسعى لما يكفينى ولكن لمجد أؤثّله ، فالمعنيان اللذان ينبئان عن اُكتفاء الإنسان باليسير متوافقان فى الشعرين ، والزيادة فى الشعر الأوّل التى دلّ بها على بعد همّته ليست تنقض واحداً منهما ولا تنسخه ، وأرى أنّ هذا العائب

ظنّ امرأ القيس قال فى أحد الشعرين : إنّ القليل يكفيه ، وفى الآخر لا يكفيه ، وقد ظهر بما قلنا أنَّ هذا الشاعر لم يقل شيئًا من ذلك ولا ذهب إليه ، ومع ذلك فلو قاله وذهب إليه لم يكن عندى مخطئاً من أجل أنّه لم يكن فى شرط شرطه يحتاج إلى ألاّ ينقض بعضه بعضاً ، ولا فى معنًى سلكه فى كلمة واحدة أيضاً » .

(ومن التناقض) على طريق المضاف قول عبد الرحمن بن عبد الله القيسىّ :

فإنّى إذا ما الموت حلّ بنفسها يزال بنفسى قبل ذلك فأقبر

قال قدامة : « جمع بين قبل وبعد ، وهما من المضاف ، لأنّه لا قبل إلّا لبعد ، ولا بعد إلّا لقبل ، حيث قال : إنه إذا وقع الموت بها ، وهذا القول كأنّه شرط وضعه ليكون له جواب يأتى به ، وجوابه قوله : يزال بنفسه قبل ذلك ، وهذا شبيه بقول قائل : لو قال : إذا انكسرت الجرّة انكسر الكوز قبلها » . وقال أبو هلال : « هذا شبيه بقول قائل : إذا دخل زيد الدار دخل عمرو قبله » .

(وممّا أخذوه) على الأعشى قوله :

شتّان ما يومى على كورها ويوم حيّان أخى جابر

---

(١) فى رواية : (المصقول) وفى أخرى : (المشمول) أى الطيب . وفى رواية : (مدامة صرفاً) بدل (أخضر مطموثاً) ولا خطأ على هذه الرواية ، والأولى مروية فى العقد والصناعتين وسر الفصاحة والموازنة .

وكان حيّان أشهر وأعلى ذكراً من أخيه جابر، فلم يكن محتاجاً لأن يعرّف به .

(ومن غريب الوهم) قول عدىّ بن زيد :

والمُشْرِف الهندىّ[١] يُسقى به　　　أخضرَ مطموثاً بماء الَخرِيص

المشرف : إناء كانوا يشربون فيه . والمطموث : الممسوس . والخريص : السحاب . ووجه الخطإ وصفه الخمر بالخضرة ، وما وصفها بذلك أحد غيره ، ولا كانت العرب تعرف هذا اللون للخمر .

(ومن قبيله) قول المَرَّار :

وخال على خدّيكِ يبدو كأنّه　　　سنا البدر فى دعجاء باد دجونها

فوصف الخال بالبياض ، والوجه بالسواد ، وهو خلاف المتعارف ، اللهمّ إلّا أن يكون حكى الواقع ، ولو كان كذلك ما عابه عليه أئمّة الأدب ونَقَدة الشعر كالمرزبانىّ وأبى هلال وقدامة وغيرهم

(وممّا خطّأوا) فيه جريراً قوله :

لمّا تذكّرت بالديرين أرّقنى　　　صوت الدجاج وقرع بالنواقيس[١]

فقالوا : غلط مرّتين فإنّ الدجاج لا تصيح ، وإنما تصيح الديوك ، والأرق فى أوّل الليل ، والديوك تصيح عند الصباح

---

(١) كذا روى فى اللسان والموازنة والصناعتين وشرح ديوان جرير ، ورواه ابن منقذ فى كتاب البديع والخاصى فى درر الدقائق : (وما نزلت بها إلا وأرقنى) ونسباه للفرزدق ، والصواب أنه لجرير .

قلنا : الدجاج تطلق على الديوك أيضا ، وإنما الوهم فى الثانى ، وقد تكلّف له بعضهم وجهاً فقال : إنما أراد أرّقنى انتظار صوت الدجاج والنواقيس .

(ومن عيوب) المعانى أن ينسب الشىء إلى ما ليس منه ، كما قال خالد بن صفوان :

فإن صورة راقتك فاْخبر فربّما أمرّ مذاقُ العود والعود أخضر

قال قدامة والمرزبانىّ : «كأنّه يومئ إلى أنّ سبيل العود الأخضر فى الأكثر أن يكون عَذْبا أو غير مرّ ، وهذا ليس بواجب ، لأنه ليس العود الأخضر بطعم من الطعوم أولى منه بالآخر» .

(ومن عيوب) المعانى قول الحكم الُخضْرىّ :

كانت بنو غالب لأمّتها كالغيث فى كلّ ساعة يكف

وليس فى المعهود أن يكون الغيث واكفاً فى كلّ ساعة .

(ومنها) قول الحطيئة :

ومن يطلب مساعى آل لأى تصعّده الأمور إلى علاها

قال أبو هلال : «كان ينبغى أن يقول : من طلب مساعيهم عجز عنها وقصّر دونها ، فأمّا إذا تناهى إلى علاها فأىّ فخر لهم ، فإن قيل : إنّه أراد به يلقى صعوبة ، كما يلقى الصاعد من أسفل إلى علو ، فالعيب أيضا لازم له ، لأنّه لم يعبّر عنه تعبيراً مبينا» ونحوه فى الموشّح للمرزبانىّ .

قلنا : البيت على القول الأوّل أشبه بالهجاء عنه بالمدح ، لأنّه أراد أن يعظّم شأنهم فصغّره وحقّره ، وقد وقع الأخطل فيما يشبهه ، فإنّه أراد

مدح سماك الأسدىّ وكان قومه يلقّبون بالقيون ويعيّرون بذلك فقال :

قد كنت أحسبه قيناً وأُنْبَؤُهُ　　　فاليوم طيّر عن أثوابه الشَّرَرُ

أى فاليوم نفى ذلك عن نفسه وذهب عنه هذا اللقب ، فنبّه فى مدحه له على شىء يعيّر به ، وكان له فى ضروب المدائح متّسع . ويروى : أنه لمّا أنشده سماكاً قال له : أردت أن تمدحنى فهجوتنى كان الناس يقولون قولاً فحقّقته .

وأراد الأخطل أن يهجو سويد بن منجوف ، فأتى بما يدلّ على مدحه فى قوله :

وما جذع سوء خرّب السوس أصله　　　لما حمّلته وائل بمطيق

فجعله لا يطيق ما حمّلته وائل من أمورها ، فأثبت له نباهة وسؤدداً ، وجعله ممّن تعصب به الحاجات . وفى الأغانى : أنّه لمّا هجا سويداً بهذا الشعر قال له : يا أبا مالك ، ما تحسن تهجو ولا تمدح ، لقد أردت مدح الأسدىّ فهجوته ، يعنى قوله : (قد كنت أحسبه قيناً وأُنْبَؤُهُ) وأردت هجائى فمدحتنى ، جعلت وائلا حمّلتنى أمورها ، وما طمعتُ فى بنى تغلب فضلا عن بكر .

قلنا : وقد سبقه زهير إلى المدح بما يشبه الهجاء فى بيت لم نر من تنبّه لما فيه غير ابن شرف القيروانىّ فقال عنه ما نصّه : « وقال زهير — وهو من أطيب شعره وأملحه عند العامّة ، وكثير من الخاصّة[1] ، فهاهنا تَحَفَّظْ وتأمّل ، ولا يَهْلِكَ ذلك منهم الحقّ أبلج — قال :

(١) فى طبقات الشعراء لابن قتيبة : أن عبد الملك بن مروان سأل قوما من الشعراء عن أى بيت أمدح فاتفقوا على بيت زهير هذا .

تراه إذا ما جئتــــه متهلّلاً كأنّك تعطيه الذى أنت سائلهْ

مدح به شريفاً ، أىّ شريف ، فجعل سروره بقاصده كسروره بمن يدفع شيئا من عرض الدنيا إليه ، وليس من صفات النفوس العازفة السامية ، والهمم الشريفة العالية ، إظهار السرور إلى أن تتهلّل وجوههم ، وتسرّ نفوسهم بهبة الواهب ، ولا شدّة لابتهاج بعطيّة المعطى ، بل ذلك عندهم سقوط همّة ، وصغر نفس» إلى أن قال : «هذا نقض البناء ، ومحض الهجاء ، والفضلاء يفخرون بضدّ هذا» .

(وعابوا) على الفرزدق قوله :

ومن يأمن الحجّاج والطير تتّقى عقوبتـــه إلاّ ضعيف العزائم

وزعموا أنّ الحجّاج قال له : ما عملت شيئاً ، إنّ الطير تتّقى الصبىّ والثوب وتنفر من الخشبة . ولا نخال الفرزدق أراد ذلك ، وإنّما مراده أنّ القريب والبعيد يتّقيه حتّى الطائر فى الجوّ ، ولكنّه قصّر فى البيان .

(ومن عيوب المعانى) فساد التقسيم ، وهو إمّا أن يكون بالتكرير كقول هذيل الأشجعىّ :

فما برحت تومى إليــه بطرفها وتومض أحياناً إذا خصمها غفل

فإنّ تومى وتومض متساويان ، فكأنّه قال : ما برحت تومى إليه أحياناً وتومى أحياناً . وإما أن يكون بدخول أحد القسمين فى الآخر ، كقول القائل :

أبادر إهلاك مستهلك لمالى أو عبث العابث

فإنّ عبث العابث داخل فى إهلاك المستهلك .

ومثله قول أميّة بن أبى الصلت :

لله نعمتنا تبــارك ربّنا رَبّ الأنام وربّ من يتأبّد

فمن يتأبّد : أى يتوحّش داخـل فى الأنام ، ولا يجوز أن يكون أراد به الوحش لأنّ من لا تقع على غير العاقل .

ومنه أن يكون القسمان ممّا يجوز دخول أحـدهما فى الآخر كقول أبى عدىّ القرشىّ :

غير ما أن أكون نلت نوالاً من نداها عفواً ولا مهنيّا

فإنّ العفو قد يكون مهنيًّا ، والمهنىّ قد يكون عفواً ، وهو مثل ما حكى أنّ أنْوكَ سأل مرّة فقال : علقمة بن عَبَدة جاهلىّ أو من بنى تميم .

ومثله قول عبد الله بن سليم الغامدىّ :

فهبطت غيثاً ما يفزّع وحشه من بين سرب ناوئٍ وكنوس(١)

فإنّ الناوئ : أى السمين يجوز أن يكون كانساً أو راتعاً ، والكانس يجوز أن يكون سميناً أو هزيلا ، وإمّا أن يكون بترك مالا يحتمل الواجب تركه ، كقول جرير فى بنى حنيفة :

صارت حنيفة أثلاثاً فثُلْثهم من العبيد وثلث من مواليها

قيل : إنّ هذا الشعر أُنشد فى مجلس ورجل من بنى حنيفة حاضر فيه فقيل له : من أيّهم أنت ؟ فقال : من الثلث المُلغى ذكره(٢). انتهى

(١) المراد بالغيث هنا : الكلأ .

(٢) للبيت وجه يدفع هذا الاعتراض ذكره البغدادى فى خزانته فقال : « أراد =

ملخّصاً من نقد الشعر والموشّح .

(ومن عيوب المعانى) الإخلال ، قال قدامة والمرزبانىّ : « هو أن يترك من اللفظ ما يتمّ به المعنى ، مثال ذلك قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

أعاذل عاجل ما أشتهى　　　أحبّ من الأكثر الرائث[1]

فإنّما أراد أن يقول : عاجل ما أشتهى مع القلّة أحبّ إلىّ من الأكثر المبطئ ، فترك مع القلّة وبه يتمّ المعنى .

ومثل ذلك قول عُرْوَة بن الورد :

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم　　　ومقتلهم عند الوغا كان أعذرا

فإنّما أراد أن يقول : عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم فى السلم ، ومقتلهم عند الوغا أعذر فترك فى السلم .

ومن هذا الجنس قول الحارث بن حِلِّزة :

والعيش خير فى ظلا　　　ل النوك ممّن عاش كدّا

فأراد أن يقول : والعيش خير فى ظلال النوك من العيش بكدّ فى ظلال العقل ، فترك شيئاً كثيراً ، وعلى أنّه لو قال ذلك لكان فى الشعر خلل آخر ، لأنّ الذى يظهر أنّه أراده هو أن يقول : إنّ العيش الناعم فى ظلال النوك خير من العيش الشاقّ فى ظلال العقل ، فأخلّ بشئ كثير .

= جرير بالثلث المتروك أشرافهم ، وترك الثالث عمداً لأنه فى مقام الذم لا يثبت لهم أشرافاً صراحة » .

(١) رواية قدامة فى نقد الشعر :

أعادل عاجل مالى أحبّ إلى من الأكثر الرائث

ومن هذا الجنس نوع آخر ، وهو كما قال بعضهم :

لا يَرْمَضُون إذا حرّت مشافرهم   ولا ترى منهم فى الطعن ميّالا
ويفشلون إذا نادى ربيئهم   ألا أركبنّ فقد آنست أبطالا

الربيءُ : الطليعة ، فأراد أن يقول : ولا يفشلون ، فحذف (لا) فعاد المعنى إلى الضدّ » انتهى .

(ومن اُضطراب) المعنى قول أبى دؤاد الإيادىّ :

لو أنها بذلت لذى سَقَمٍ   حَرَضِ الفؤاد مشارف القبض[1]
حسن الحديث لظلّ مكتئباً   حرّان من وجد بها مَضّ

قال أبو هلال : « وكان اُستواء المعنى أن يقول : لبرأ من سقمه »

(ومن الإحالة) قول اُبن مقبل :

أمّا الأداةُ ففِينا ضُمَّرٌ صُنُعٌ   جُرْدٌ عواجِرُ بالأَلْباد واللُّجُم
ونسج داود من بيض مضاعفة   من عهد عاد وبعد الحىّ من إرم

قال اُبن رشيق : « فكيف يكون نسج داود من عهد عاد اللهمّ إلاّ أن يريد فينا ضمّر صنع من عهد عاد ، فذلك له على سبيل المبالغة ، مع أنّ الإحالة لم تفارقه ، وكم بين قيس عيلان و بين عاد فضلاً عن بنى العجلان[2] » انتهى . والصُّنُع من قولهم : صَنَع فرسَه : إذا أحسن القيام

(١) الحرض (بفتحتين) : الذى أذابه الحزن والعشق ، وهو مصدر وصف به .
(٢) بنو العجلان : رهط ابن مقبل ، وفيهم يقول النجاشى :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة   فعاد بنى العجلان رهط ابن مقبل

عليه ، فهو فرس صَنِيع . والعواجر : التى تقمص . وجاء فى اللسان عن البيت الأوّل : « رويت بالحاء والجيم فى اللجم ، ومعناه : عليها ألبادها ولجمها ، يصفها بالسمن ، وهى رافعة أذنابها من نشاطها » .

قلنا : والذى انتقده فيه ابن رشيق يصح على القول الأوّل أن يجاب عنه بأنه أراد ما يشبه نسج داود فى الجودة ، فيستقيم به المعنى ، وأمّا إنكاره فى القول الثانى بقاء هذه الخيل من عهد عاد إلى زمن الشاعر ، فلا ريب فى أنّ ابن مقبل لم يرد بقاءها بأعيانها ، وإنّما أراد بقاء ما تناسل منها زمناً بعد زمن ، فليس فيه غير المبالغة .

(ومن الخطإ) قول بعضهم :

* كأنّه سِبْط من الأسباط *

قال فى اللسان نقلاً عن ابن سيده : إنّه ظنّ السبط الرجل فغلط وفى المزهر : « ظنّ أنّ السبط الرجل ، وإنّما السبط واحد الأسباط من بنى يعقوب » .

(ومثله) قول الآخر :

* تفضّ أمّ الهام والترائكا *

قالوا : الترائك : بيض النعام . فظنّ الشاعر أنّ البيض كلّه ترائك .

قلنا : لم يخطىء الشاعر . فإنَّ بيضة الحديد التى للرأس يقال لها أيضاً : تَرِيكة على التشبيه ببيضة النعامة .

(ومن وضع) كلمة موضع أخرى قول امرىء القيس :

إذا ما الثريّا فى السماء تعرّضت   تعرّض أثنــاء الوشاح المفصّل

قالوا : غلط فذكر الثريّا ، وهو يريد الجوزاء ، لأنَّ الثريّا لا تتعرّض ، وهو قول الجمحيّ . وقال بعضهم : تعرّض الثريّا أنّها إذا بلغت كبد السماء أخذت فى العرض ذاهبة ساعة ، كما أنّ الوشاح يقع مائلاً إلى أحد شقّى المتوشَّحة به .

(وممّا أدركه) بعضهم على لبيد قوله :

نحن بنى أمّ البنين الأربعــــة   ونحن خير عامر بن صَعْصَعَهْ[1]

أراد بأمّ البنين : جدّته ليلى ، وكانت ولدت أباه ربيعـة بن مالك ، وأعمامه : عامراً ملاعب الأسنّة ، وطفيلاً فارس قرزل[2] ، ومعاوية معوّد الحكماء ، وعبيدة الوضّاح ، فكانوا خمسة لا أربعة كما قال ، ولهذا حمل بعضهم قوله أربعة على الضرورة الشعريّة .

والأكثرون على أنّه لم يخطئ لأنّه قال ذلك بعـد موت أبيه . قال السهيليّ : « وإنّما قال أربعة لأنّ أباه كان مات قبل ذلك ، لا كما قال بعض الناس ، وهو قول يعزى إلى الفرّاء أنّه قال : إنّما قال أربعة ولم يقل خمسة من أجل القوافى ، فيقال له : لا يجوز للشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر ، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن » .

---

(١) قوله : (بنى) منصوب على الاختصاص . وبعضهم ينشده رفعاً .

(٢) قرزل (بضم فسكون فضم) : اسم فرسه .

القسم الخامس

ومن هذه الأوهام (القلب) عند من لا يرى جوازه، وهو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر، والآخر مكانه مع إثبات حكم كلّ للآخر، نحو: قطع الثوبُ المسمارَ، وأدخلت القلنسوة فى رأسي. والأصل قطع المسمارُ الثوبَ. وأدخلت رأسى فى القلنسوة. لأنَّ المسمار هو القاطع للثوب، والرأس هو المدخل فى القلنسوة.

وقد اُختلف فيه النحاة والبيانيّون، فأجازه بعض النحاة لوضوح المعنى، وخصّه بعضهم بالضرورة، وقَبِله بعض البيانيّين مطلقاً، وردّه بعضهم مطلقاً على ما هو مفصَّل فى كتبهم. وذهب بعض البيانيّين إلى قبوله أن تضمّن اُعتباراً لطيفاً، كقول رؤبة بن العجّاج:

ومهمه مغـــبّرة أرجاؤه كأنّ لون أرضــــه سماؤه[1]

فالأصل: كأنَّ لونَ سمائه لما فيها من الغبار لونُ أرضه. قالوا: والاُعتبار اللطيف هو المبالغة فى وصف لون السماء بالغبرة حتّى كأنّه صار بحيث يشبّه به لون الأرض فى ذلك مع أنَّ الأرض أصل فيه. واُعترض بعضهم بأنّ هذا لا ينبغى إجراء الخلاف فيه لأنّه على هذا الاُعتبار يكون من

---

(٢) قال البغدادى فى حاشيته على شرح بانت سعاد: البيت كذا فى التلخيص: والذى فى ديوان رؤبة وغيره: (وبلد عامية أعماؤه).

التشبيه المقلوب وقلب التشبيه متّفق عليه ، فكان الأولى التمثيل بقول الشاعر :

ورأين شيخاً قد تحنّى صلبه ... يمشى فيقعس أو يُكبّ فيعثر

لأن الأصل : أو يعثر فيكبّ، أى يسقط على وجهه . والاُعتبار اللطيف أنّ فى القلب تخييلَ أنه من غاية ضعفه يسقط على وجهه قبل عثاره . ومثّلوا للقلب المردود لعدم تضمّنه هذا الاُعتبار اللطيف بقول القطامىّ يصف ناقته :

فلمّا أن جرى سِمَن عليها ... كما طيّنت بالفَدَن السياعا

والفَدَن : القصر . والسياع (بفتح الأَوّل وكسره) : الطين بالتبن الذى يطيّن به ظاهر الجدار . أراد كما طيّنت بالسياع الفدن فقَلَب . والمعنى : إنّ هذه الناقة اُمتلأَت سمناً فصارت كالقصر المسيّع فى الملاسة . واُعتُرِض بأنا لا نسلّم خلوّه من النكتة ، لأَنّه يتضمّن من المبالغة فى سمن الناقة ما لا يتضمّنه قولنا : كما طيّنت الفدن بالسياع ، لإيهامه أنّ السياع بلغ من العظم والكثرة إلى أن صار بمنزلة الأَصل ، والفدن بالنسبة إليه كالسياع بالنسبة إلى الفدن ، كذا فى الهنديّة للدمامينىّ على المغنى . وفى عروس الأفراح للبهاء السبكىّ ما نصّه : « ويروى : بطّنت ، كذا رأيته فى الصحاح للجوهرىّ وحلية المحاضرة للحاتمىّ ؛ والتوسعة لاُبن السكّيت وجعله قلباً وفيه نظر، لأَنّه يجوز أن يريد أنّه جعل القصر بطانة للطين لأَنّه داخله فلا قلب ، وكلّ ما كان ظهارة لغيره كان الغير بطانة له» انتهى .

(وممّا عدّوه) من القلب قول القطامىّ فى مطلع هذه القصيدة :

قِفِى قبل التفرّق ياضُبـاعا ... ولا يك موقفٌ منك الوداعا

لأَنّه جعل ما هو فى موقع المبتدإ نكرة ، وما هو فى موقع الخبر معرفة ، فحمل على القلب لتصحيح الحكم اللفظىّ وصار تقديره : ولا يكن موقف الوداع موقفاً منك ، ولو أنه نكَّر الوداع ما حمل على ذلك .

ومثله قول حسّان :

كأَنَّ سبيئة من بيت رأس ... يكون مزاجَها عسلٌ وماءُ

عند من نصب مزاجها فجعل المعرفة الخبر والنكرة الاُسم . وفى البيت تأويلات أخرى تخرجه عن القلب ليس هذا محلّ ذكرها .

(ومن القلب) قول القائل :

إنّ سراجاً لكريم مَفخرهْ ... تحلى به العين إذا ما تَجْهَرُهْ

قال السيّد المرتضى فى أماليه : أى يحلى بالعين فقدّم وأخّر .

(ومنه) قول الجعدىّ :

كانت فريضةَ ما تقول كما ... كان الزناءُ فريضةَ الرجم

والأصل : كان الرجم فريضة الزناء .

(ومنه) قول الآخر :

وقد خفت حتّى ما تزيد مخافتى ... على وَعِلٍ فى ذى المطارة عاقلِ

أراد : ماتزيد مخافة وعل على مخافتى ، كذا فى أمالى المرتضى .

(ومنه) قول الآخر :

ترى الثور فيها مدخل الظلِّ رأسَه ... وسائره بادٍ إلى الشمس أجمع

أى مدخل رأسِه الظلَّ .

(ومنه) قول الراعى :

فصبّحته كلاب الغوث يؤسدها　　مستوضحون يرون العين كالأثر[1]

يريد أنّهم يرون الأثر كالعين .

(ومنه) قول النابغة الذبيانىّ :

فلا تتركنّى بالوعيــد كأنّنى　　إلى الناس مطلىّ به القار أجربُ

قال الأعلم : « قوله : كأنّنى إلى الناس ، أى فى الناس ، وقوله : مطلىّ به القار ، أى مطلىّ بالقار فقلب ، ويحتمل أن يكون فى مطلىّ ضمير البعير كأنه قال : كأنى بعير مطلىّ أجرب فيه القار ، أو عليه القار » .

(ومنه) قول أبى النجم :

* قبل دنوّ الأفق من جوزائه *

أى قبل دنوّ الجوزاء من الأفق .

(ومنه) قول عروة بن الورد :

فلو أنّى شهدت أبا معاذ　　غداة غدا بمهجته يفوق[2]

فديت بنفسه نفسى ومالى　　وما آلوك إلاّ ما أطيق

قال المرزبانىّ : أراد أن يقول : فديت نفسه بنفسى فقلب المعنى .

(ومنه) قول الحطيئة :

---

(١) الغوث : قوم من طيء ، ويقال : استوضح الرجل : إذا وضع يده على جبهته للنظر .

(٢) فاق بنفسه : جاد بها . وقوله : لاآلوك ، قال البغدادى فى حاشيته على شرح بانت سعاد : الرواية (لا آلوه) والمشهور بكاف الخطاب بتقدير قائلا .

فلمّا خشيت الهُونَ والعَير مُمْسَكٌ على رغمه ما أمسك الحبل حافرُهْ[1]

وكان الوجه : ما أمسكَ الحبلُ حافرَه .

ومثله قول المجنون :

يضمّ إلىّ الليل أطفال حبّكم كما ضمّ أزرارَ القميص البنائقُ

والوجه: رفع الأزرار ونصب البنائق ، ولهذا ذكر السيرافىّ أنّ بعضهم رواه : (كما ضمّ أزرارُ القميص البنائقا) قال : وليس بصحيح ، لأنّ القصيدة مرفوعة . هذا على تفسير البنيقة بالرقعة تكون فى الثوب كاللبنة ، أو هى لبنة القميص ، وقال صاحب اللسان : « وفسّر أبو عمرو الشيبانىّ البنائق هنا بالعُرَا التى تدخل فيها الأَزرار . والمعنى على هذا واضح بيّن لا يحتاج معه إلى قلب ولا تعسّف إلاّ أنّ الجمهور على الوجه الأَوّل » انتهى .

(ومنه) قول الشّماخ :

بانت سعاد ففى العينين ملمول وكان فى قصر من عهدها طول

قال أبو هلال : « كان ينبغى أن يقول: فى طول من عهدها قصر لأَن العيش مع الأَحبّة يوصف بالقصر » ونحوه فى الموشّح للمرزبانىّ

(ومنه) قول أبى ذؤيب :

فلا يهنأ الواشون أن قد هجرتها وأظلم دونى ليلُها ونهارها

قال أبو هلال : هذا من المقلوب ، وكان ينبغى أن يقول : وأظلم دونها ليلى ونهارى ، ومثله فى الموشّح .

---

(١) كذا فى القرطين ، والذى فى الموشح ونقد الشعر والديوان : (ماأثبت الحبل).

(ومنه) قول الأَخطل :

مثل القنافذ هدّاجون قد بلغت نَجْران أو بلغت سوآتهم هَجَرُ

وكان الوجه رفع سوآتهم ونصب هجر ، لأَن السوآت هى التى تبلغ هجر .

(ومنه) قول كعب فى بانت سعاد :

كأنّ أوب ذراعيها إذا عرقت وقد تلفّع بالقُور العساقيلُ

القور (بالضمّ) : جمع قارة ، وهو الجبل الصغير . والعساقيل هنا : السراب ولا واحد لها . والوجه كما تلفّعت القور بالعساقيل ، أى صار السراب للآكم مثل اللثام .

(ومنه) قول النابغة الجعدىّ :

حتّى لحقناهمُ تُعدى فوارسنا كأنّنا رَعْن قُفّ يرفع الآلا

أى تعدى فوارسنا الخيلَ فحذف المفعول اختصاراً . ورعن القفّ نادر يندر منه . والقفّ : ما اُرتفع من الأرض . والآل : السراب ، شبّه حركتهم فى عدوهم بحركة القفّ فى الآل ، لأنّ الجبال فيه يخيّل للناظر أنها تضطرب . فكان الوجه كأنّنا رعن قفّ يرفعه الآن ، كذا فى أدب الكتّاب لاُبن قتيبة والأضداد لأبى الطيّب اللغوىّ وشرح بانت سعاد لاُبن هشام . وقال اُبن السِّيد فى شرح أدب الكتّاب : « قال الأصمعىّ : إنما قال يرفع الآلَ لأنّه ينزو فى الآل فإذا نزا فكأنّه قد رفع الآل ، يريد أنّه لا قلب فى البيت كما قال اُبن قتيبة » .

(ومنه) قول خِداش بن زهير :

وتَركب خيلٌ لاهوادة بينها وتشقي الرماح بالضياطرة الُحمْر [1]

الضياطرة: واحدهم ضَيْطار، وهو الضخم الذى لايُغنى شيئاً. والبيت عندهم من المقلوب، إذ الأصل: وتشقى الضياطرة بالرماح، أى يُقتلون بها. وقيل: لا قلب لجواز أن يكون عنىأنّ الرماح تشقى بهم،أى أنَّهم لايحسنون حملها ولا الطعن بها. وقال علم الدين السخاوىّ فى سفر السعادة: «زعموا أنّه مقلوب، وأنّ وجه الكلام: وتشقى الضياطرة بالرماح، وأحسن من هذا أن يكون غير مقلوب وشقاوة الرماح تكسّرها فيهم، كما قال:

فتى شقيت أرماحه بعداته كما شقيت أرماح زيد بتغلب» [2]

انتهى. وفى البيت رواية أخرى رواها الإمام محمد بن أحمد بن مُطَرِّف الكنانىّ فى القرطين وهى: (وتَعْصَى الرماح) من قولهم: عَصِىَ بسيفه يَعْصَى: أى ضرب به. والمراد هنا الطعن، وعلى هذه الرواية لا يصحّ تخريج ما فى البيت إلاّ على القلب. قال الكنانىّ: «لأنَّ الرماح لاتعصى بالضياطرة، وإنّما يعصى الرجال بها، أى يطعنون».

(ومنه) قول الفرزدق يذكر ذئباً:

وأطلس عسّال وما كان صاحباً رفعت لنارى موهناً فأتانى

قال المبرّد فى الكامل: «قوله: رفعت لنارى من المقلوب، وإنّما أراد

(١) رواية اللسان وشفاء الغليل: (وتركب خيلا) وفى الجمهرة (ونركب خيلا) وروى فى نسخة صحيحة من القرطين برفع خيل وفتح التاء من تركب. وقال أبو الطيب اللغوى فى كتاب الأضداد: «كان الوجه أن يروى وتركب (بضم التاء) وليس يروى إلا (بالفتح) والخيل لا تركب» قلنا: لعله من قولهم: ياخيل الله اركبى، وقد عدوه أيضاً من المقلوب.

(٢) كذا بلفظ (زيد) فى نسخة صحيحة من السعادة بأولها خط المصنف.

رفعت له نارى ، والكلام إذا لم يدخله لبس جاز القلب للاختصار » ثم قال : « ويروى : أنّ يونس بن حبيب قال لأبى الحسن الكسائىّ : كيف تنشد بيت الفرزدق :

غداة أَحلّت لابن أصرم طعنةٌ حصين عبيطاتِ السدائف والخمرُ؟

فقال الكسائىّ : لمّا قال: غداة أحلّت لابن أصرم طعنة حصين عبيطات السدائف تمّ الكلام ،فحمل الخمر على المعنى ، أراد : وحلّت له الخمر ، فقال يونس : ما أحسن ما قلت ، ولكنّ الفرزدق أنشدنيه على القلب، فنصب الطعنة ورفع العبيطات ، والخمر على ما وصفنا من القلب ، والذى ذهب إليه الكسائىّ أحسن فى محض العربيّة ، وإن كان إنشاد الفرزدق جيّداً » انتهى .

(ومنه) قول الفرزدق أيضاً :

فبِتْنَ بجانبىّ مصرّعاتٍ وبتّ أفضّ أغلاق الخِتام

قال الفارسىّ : أراد ختام الأغلاق فقلب ، كذا فى اللسان فى مادة (غلق) .

(ومنه) قول ذى الرُّمّة :

وقرّبن بالزُّرق الحمائل بعدما تقوّب عن غربان أوراكها الخَطْرُ(١)

الزرق : أكثبة بالدهناء . والغرابان من الفرس والبعير : حرفا الوركين . والخطر: ما لصق بالوركين من البول . وتقوّب الجلد : تقشّر قال صاحب اللسان : « أراد تقوّبت غربانها عن الخطر فقلبه ، لأنّ المعنى معروف،

(١) الحمائل (بالحاء المهملة) هى رواية اللسان فى (غرب) و (خطر) والذى فى الديوان : الجمائل (بالجيم) وفسرت بأنها جمع جمالة .

كقولك : لا يدخل الخاتم فى إصبعى ، أى لا يدخل إصبعى فى الخاتم »

(ومنه) قول بعضهم — ونسبه صاحب الوساطة للأعشى — :

وكلّ كميت كأنّ السَّلِيـــ ـــط فى حيث وارى الأديمُ الشعارا

ففى الوساطة : « يريد حيث وارى الشعارُ الأديمَ فقلب الكلام » .

ورواية اللسان : (طويل) بدل كميت ، وجاء فيه عن البيت ما نصّه : «أراد كأنّ السليط ، وهو الزيت فى شعر هذا الفرس لصفائه . والشعار : جمع شَعَر ، كما يقال : جبل وجبال ، أراد أن يخبر بصفاء شعر الفرس ، وهو كأنّه مدهون بالسليط . والموارِى فى الحقيقة : الشعار . والموارَى : هو الأديم، لأنّ الشعر يواريه فقلب . وفيه قول آخر يجوز أن يكون هذا البيت من المستقيم غير المقلوب ، فيكون معناه : كأنّ السليط فى حيث وارى الأديمُ الشعر ، لأنّ الشعر ينبت من اللحم وهو تحت الأديم ، لأنّ الأديم الجلد . يقول : فكأنّ الزيت فى الموضع الذى يواريه الأديم وينبت منه الشعر ، وإذا كان الزيت فى منبته نبت صافياً ، فصار شعره كأنّه مدهون ، لأنَّ منابته فى الدهن ، كما يكون الغصن ناضراً ريّان إذا كان الماء فى أصوله » انتهى .

(ومنه) قول الأعشى :

حتّى إذا احتدمت وصا ر الجمر مثـــل ترابها

أى وصار ترابها مثل الجمر . وقد روى هذا البيت فى الأضداد لأبى الطيّب اللغوىّ والقرطين للكنانىّ . والذى فى الأضداد للسجستانىّ :

* حتَّى يصير الجمر مثل ترابها *

أى على أنّه شطر بيت وليحقّق فإنّى لم أجـده فى نسخة ديوان الأعشى التي بيدى ، ولعلّه لأعشى آخر إلاّ أنّ عادتهم إذا أطلقوا أرادوا الأعشى الأكبر .

(ومنه) قول الشمّاخ يذكر أباه :

منه وُلدتُ ولم يؤشب به حسبي ليًّا كما عُصِبَ العلباء بالعود[1]

العلباء : عصب العنق ، وكانت العرب إذا تصدّع رمح تعصبه به وهو رطب فيجفّ عليه ، فكان الوجه فى البيت : (كما عُصب العود بالعلباء) .

(ومنه) قول ذى الرُّمّة :

وتكسو المِجَنّ الرخو خصراً كأنّه إهانُ ذَوَى عن صُفرة فهو أخلق

المجنّ هنا : الثوب والإهان (بكسر أوّله) : عود العذق . والأَخلق : الأملس . وكان الوجه أن يقول : تكسو الخصر مجنًّا .

(ومن القلب) قوله أيضاً يذكر بعيراً :

بَرَى لحمه التوجافُ حتّى كأنّه هلال نضت عنه الرياحَ سحائبُه[2]

أى أهزله الإسراع فى السير حتّى صيّره كهلال تقشّعت عنه السحائب ، فالرياح هى التى نضت عنه السحائب لا العكس كما فى البيت ، ولكنّه لما اُضطرّ قلب . وقد رواه هكذا أبو الطيّب اللغوىّ فى الأَضداد ، ورواية الديوان : (هلال بدا وانشقّ عنه سحائبه) ولا قلب عليها .

---

(١) منه ولدت هى رواية القرطين والأضداد لأبى الطيب اللغوى ، والذى فى ديوان الشماخ : (منه نجلت) .

(٢) فى الديوان : (طوى بطنه الترجاف) .

(ومنه) قول الآخر :

أسامته في دمشق كما أسلمت وحشيّةٌ وَهَقَا

الوهق (بفتحتين) : حبل مُغار يرمى فتؤخذ به الدوابّ . والوجه كما أسلم وهقٌ وحشيّة .

(ومنه) ما أورده ابن هشام في المغني لبعضهم :

فإن أنت لاقيت في نجدة فلا يتهيَّبْكَ أن تقــــدما

قال الدمامينيّ في الهندية : « أي لا يَخَفْكَ الإقدام . والمعنى : لا تخف أنت الإقدام على ملاقاة العدوّ والدخول في الحرب ، والقلب فيه ظاهر » .

(وفي المغني) أيضاً لابن مقبل :

ولا تَهَيَّبني الموماة أركبها إذا تجاوبت الأَصداء بالسحر

أي لا تتهيّبني ، فحذفت إحدى التاءين ، والوجه لا أتهيّبها .

(ومن) قلب التثنية بالإفراد ما ورد في المغني أيضاً لبعضهم :

إذا أحسن ابن العمّ بعد إساءة فلست لشَرَّيْ فعله بحمول

أي فلست لشرّ فعليه .

(ومن القلب) قول بعضهم :

متاليف سيّارون والليل مسدف إذا الليل بالغَوْج الهدان تحيّرا

قال أبو الطيّب اللغويّ في الأضداد : « أي إذا تحيَّر الغوج الهدان بالليل . والغوج : الثقيل والهدان : البليد » .

(ومنه) قول الآخر :

عليك سلام الله منّي مضاعفاً إلى أن تغيب الشمس من حيث تطلع

قال أبو الطيّب : « يريد إلى أن تطلع الشمس من حيث تغيب » .

(ومنه) قول الآخر :

فإنّ بنى شُرَحْبِيل بن عمرو تمادَوْا والفجور من التمادى[1]

يريد : والتمادى من الفجور .

(ومنه) قول الآخر :

أتجزع أن نفسى أتاها حمامها فهلاّ التى عن بين جنبيك تدفع

يريد : فهلاّ عن التى بين جنبيك تدفع .

(ومنه) قول الآخر :

أقبّ طِمِرّ كسِيد الغضا إذا ما الخبار اُنتحاه وَثَبْ

يريد : إذا اُنْتحى الخبـار ، أى قصـده . والخبار من الأَرض : ما لان واُسترخى ، وكانت فيه جِحَرة .

(ومنه) قول الآخر :

ووحش إران قد سلبت مقيله إذا ضنّ بالوحوش العتاق مقايلُهْ

هكذا أنشده أبو الطيّب اللغوىّ فى الأضداد وقال : « يريد إذا ضنّ الوحش بمقايله » والأَران على هذه الرواية إمّا الـكنّاس ، وإمّا موضع تنسب إليه البقر . وورد فى اللسان على أن الأَران الثور الوحشى برواية :

وكم من إران قد سلبت مقيله إذا ضنّ بالوحش العتاق معاقله

(ومن القلب) قول بعضهم :

---

(١) فى نسختنا من الأضـداد لأبى الطيب : (قال بنى) وهو تحريف ظاهر ، فرجحنا أن يكون : (فإن بنى) وليحقق .

كأنَّ ريقتها بعد الكرى أُغتبقت   من مستكنّ نماه النحل فى نِيق
أو طعم غادية فى جوف ذى حَدَب   من ساكب المزن يجرى فى الغرانيق(١)

النيق (بكسر الأوّل) : أرفع موضع فى الجبل ، وأراد بذى حدب: ماء أُستنقع فى موضع منخفض تحت جبل فبرد وَصَفا ، كذا فى الاُقتضاب .

قال أبو الطيّب فى الأضداد : «أى تجرى الغرانيق فيه . والغرانيق: جمع غُرْنَيق وهو طير الماء» فجعله من المقلوب، والذى فى اللسان : أنه أقام (فى) مقام (مع) أى أنّه أراد يجرى مع الغرانيق . ومثله فى أدب الكتّاب لأُبن قتيبة وشرحه المسمّى بالاُقتضاب لاُبن السِّيد ، وذكر أنّ الشعر لُخراشة بن عمرو العبسىّ ، وأنّ بعضهم رواه لعنترة بن شدّاد .

(ومن القلب) قول الراجز يشكو أذى البرغوث :

قد حكّنى الأسيود الأَسَكُّ(٢)   بالليل حكًّا ليس فيه شكّ
* أحُكّ حتّى منكبى منفكّ *

كذا رواه أبو الطيّب فى الأضداد وقال : « يريد بالأسيود : البرغوث ، ويريد حككته فقال : حكّنى » .

ورواية اللسان :

ليلة حكّ ليس فيها شكّ   أحكّ حتّى ساعدى منفكّ
* أسهرنى الأسيود الأسكّ *

---

(١) ويروى : (من ساكن المزن) قال ابن السيد فى الاقتضاب : أى من الماء الساكن فى المزن ، وهى السحاب .

(٢) الأسك : الصغير الأذن .

(ومنه) قول الآخر :

وقـد أرانى فى زمان ألعبُهْ   فى رونق من الشباب أعجبُهْ

قال أبو الطيّب : «أى يعجبنى ، وقوله : ألعبه ، أى فى زمان ألعب فيه» .

(ومنه) قول الآخر :

قـد صبّحت صبّحها السلامُ   بكبد خالطها السَّـــــنام

* فى ساعة يحبّها الطعام *

قال أبو الطيّب : « أى يُحَبّ فيها الطعام » ومثله فى اللسان .

(ومنه) قول الآخر :

وإذا تعاورت الأكفُّ زجاجهـا   نفحت فنـال رياحَها المزكومُ(١)

قال أبو الطيّب : « يريد : فنالت رياحُها المذكومَ . والمذكوم نصب والرياح رفع » (ومنه) قول الآخر :

ما كنت فى الحرب (العوان) مغمّراً   إذ شبّ حَرٌّ وقودها أجزالها(٢)

قال أبو الطيّب : « وإنّما الأجزال هى التى شبّت حَرٌّ وقودها »

(ومن القلب) الواقع فى كلام المولّدين قول أبى تمام يصف قلم ممدوحه:

لعاب الأفاعى القـاتلات لعابه   وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

أورده القزوينىّ فى الإيضاح شاهداً على القلب المتضمّن الاعتبار اللطيف ، ولم يتكلّم عليه . والمراد أنّ الوجه فيه : (لعابه كلعاب الأفاعى)

(١) البيت للأخطل فى الخمر ، ورواية الأغانى : (زجاجها) كما هنا ، وفى موضع آخر : (ختامها) وهى رواية معاهد التنصيص أيضاً .

(٢) فى النسخة بياض موضع (العوان) ولكن رسمت من الكلمة أداة التعريف والنون التى بآخرها ولتحقق .

فعكس التشبيه للمبالغة ، ولكن لا يخفى أنّه يرد عليه ما ورد على قول رؤبة : (كأنّ لون أرضه سماؤه) المتقدّم ذكره ، فيعدّ من التشبيه المقلوب لا من القلب المراد هنا .

وزعم بعضهم : أنّ من المقلوب قول المتنبّي :

وعذلتُ أهل العشق حتّى ذقته   فعجبت كيف يموت من لا يعشق

لأنّه عنده على تقدير : كيف لا يموت من يعشق ، وخلاصة ما في شروح الديوان والوساطة والمغنى وعروس الأفراح أن لا قلب ، لأنّ المراد أنّه صار يرى أن لا سبب للموت سوى العشق ، أى أنّ الأمر المتقرّر في النفوس أنّ الموت أعلى مراتب الشدّة ، وإنّي لمّا ذقت العشق وعرفت شدّته عجبت كيف يكون هذا الأمر الصعب المتّفق على شدّته غير العشق وكيف يجوز ألاّ تعمّ علّته فتستولى على الناس حتّى تكون مناياهم منه .

(ومن المقلوب) في رأى ابن جنّى قول المتنبّي أيضاً :

نحن ركب مِلْجِنّ في زىّ ناس   فوق طير لها شخوص الجِمال (١)

لأنّ تقديره عنده : نحن ركب من الإنس في زىّ الجنّ فوق جمال لها شخوص الطير . قال ابن سنان الخفاجىّ في سرّ الفصاحة : « وهذا عندى تعسّف من أبى الفتح لا تقود إليه ضرورة ، ومراد أبى الطيّب المبالغة على حسب ما جرت به عادة الشعراء فيقول : نحن من الجنّ لجوبنا الفلاة والمهامه والقفار التى لا تسلك ، وقلّة فرقنا فيها إلاّ أنّنا في زىّ الإنس ، وهم بلا شكّ كذلك . ونحن فوق طير من سرعة إبلنا إلاّ أنّ شخوصها شخوص الجمال ، ولا خلاف أيضا في هذا » انتهى .

(١) أى من الجن ، فحذف النون لسكونها وسكون اللام .

القسم السادس

ومن هذه الأوهام تغيير الأسماء ، وهو ثلاثة أنواع :

الأوّل : لفظيّ ، وهو ما كان التغيير فيه فى أحرف الأسم بالتقديم والتأخير ، أو الزيادة أو النقصان .

والثانى : معنوىّ ، وهو ما وضع فيه أُسم موضع آخر .

والثالث : جامع لهما ، وهو ما وقع فيه التغييران كلاهما .

فالأوّل كقول الأسود بن يَعْفُر يصف درعاً :

ودعا بمحكمة أمينٍ سكُها من نسج داود أبى سَلّام

يريد : (أبى سليمان) فلمّا اضطُرَّ قال سلّام وكقول الآخر :

وسائلة بثعلبة بن سَيْر وقد علقت بثعلبة العَلُوق

يريد : ثعلبة بن سيّار . ومثله كثير ولا كلام لنا فيه لخروجه عن مقصودنا .

والثانى : كقول حُسَيل بن سُجَيح الضبّىّ يذكر درعاً :

وبيضاء من نسج داود نَثْرة تخيّرتها يوم اللقاء المَلابسا (١)

فإنّ الدروع من نسج داود نفسه لا أُبنه سليمان ، وأكثر ما يقع هذا بذكر الأُبن بدل الأب وعكسه . وخرّجه التبريزىّ فى شرح ديوان

---

(١) أصله : تخيرتها من الملابس ، فلما حذف حرف الجر وصل الفعل إلى المفعول فنصبه

الحماسة على أنّه من عادة العرب فى إقامة الأب مقام الأبن ، والأبن مقام الأب ، وتسمية الشيء بأسم غيره إذا كان من سببه .

والثالث : أى الجامع للفظىّ والمعنوىّ كقول الحطيئة :

فيه الرماح وفيـه كلّ سابغة ... بيضاء محكمة من نسج سلّام(١)

وقول النابغة :

وكلّ صموت نَثْلة تُبّعيّـــة ... ونسج سُلَيم كلّ قَضّاء ذائل(٢)

قال القاضى الجرجانىّ فى الوساطة : « أرادا داود فغلطا إلى سليمان ، ثمّ حرّفا أسمه فقال أحدهما : سلّام ، وقال الآخر : سليم » انتهى .

وتبعهما أبو العلاء المعرّىّ فقال فى الدرعيّات :

سليميّة من كل قتر يحوطهـــا ... قتير نبت عنه الغوانى الأوانسُ(٣)

(فمن المعنوىّ) قول الصَّلَتان العبدىّ :

أرى الخَطَفَى بذّ الفرزدق شعرُه ... ولـكنّ خيراً من كُلَيب مجاشع

قال أبن مطرّف فى القرطين : « أراد أرى جريراً بذّ الفرزدق فلم يمكنه فذكر جدّه » وفى خزانة البغدادىّ : «أراد أرى جرير بن عطيّة بن الخطفى ، وجاز هذا لكونه معلوماً عند المخاطب ، وقد أنكر الخوارزمىّ كون هذا

(١) ويروى : (جدلاء) بدل بيضاء .

(٢) الذائل : الدرع الطويلة الذيل . وفى شرح السـيرافى على كتاب سيبويه : أنه صغر سليمان على سليم تصغير ترخيم .

(٣) من كل قتر ، أى من كل جانب ، ويعنى بالقتـير : مسامير الدرع ، ولما كان القتير موهما طلائع الشيب ذكر نفرة الغوانى عنه .

من باب الحذف وقال : إنّما هو من باب تعدّى اللقب من الأب إلى الأبن كما فى قوله :

* كراجى الندى والعرف عند المذلّق *

« أى أبن المذلّق » انتهى .

(ومنه) قول حسّان بن ثابت :

من معشر لا يغــــدرون بذمّة الحارث بن حبيب بن سحام[١]

قال القاضى الجرجانىّ فى الوساطة : « وإنّما هو حبيب » .

(ومنه قول أوس بن حَجَر :

فهـــــل لكم فيها إلىّ فإنّنى طبيب بما أعيي النطاسىّ حِذْيَما

أراد أبن حذيم ، وكان من أطبّاء العرب فذكر أباه .

وذهب أبن السِّكّيت فى شرحه لديوان أوس إلى أنّ حذيمًا أسم الطبيب نفسه ، وتبعه فى ذلك صاحب القاموس ، ولكنّ الأكثرين على أنّه أبوه . وأستشهد الزمخشرىّ فى الكشّاف بهذا البيت على حذف المضاف لأمن اللبس ، ولكنّه خالف كلامه فى المفصّل فجعله من المحذوف مع وجود اللبس ، وأنشد معه قول ذى الرُّمّة :

عشيّة فرّ الحارثيُّون بعــــدما قضى نحبه فى ملتقى القوم هوبر[٢]

أى يزيد بن هوبر ، وقد صوّب البغدادىّ فى خزانته قوله الأوّل بأنّ الإلباس

(١) ورد هذا البيت هكذا فى النسخة المطبوعة بصيدا من الوساطة ولم نجده فى ديوانه .

(٢) رواية المزهر : (هوى بين أطراف الأسنة هوبر) .

وعدمه إنّما يكون بالنسبة إلى المخاطَب الذى يُلقى المتكلّم كلامه إليه لا بالنسبة إلى أمثالنا ، فإنّه وإن كان عندنا من قبيل الإلباس فهو مفهوم واضح عند المخاطَب به فى ذلك العصر .

(ومنه) قول الآخر يصف إبلاً :

صبّحن من كاظمة الُخصّ الَخرِبْ يحملن عبّاس بن عبد المطّلب (١)

قال ابن مطرّف الكنانىّ فى القرطين : « أراد عبد الله بن عبّاس فذكر أباه مكانه » . وجعله ابن جنّى فى الخصائص من المحذوف لأمن اللبس فقال : « وإنما أراد عبد الله بن عبّاس ولو لم يكن على الثقة بفهم ذلك لم يجد بدًّا من البيان » . وأورده المبرّد فى الكامل ، وأنشد معه للفرزدق فى سليمان بن عبد الملك :

ورثتم ثياب المجد فهى لَبوسكم عن ابنى مناف عبد شمس وهاشم

يريد ابن عبد مناف . وأنشد معه أيضاً قول كثيّر لمّا حبس عبد الله بن الزبير محمد ابن الحنفيّة فى سجن عارم :

تخبّر من لاقيت إنّك عائذ بل العائذ المحبوس فى سجن عارم

وصىّ النبىّ المصطفى وابن عمّه وفكّاك أعناق وقاضى مغارم

يريد ابن وصىّ النبىّ . وفى مادّة (وصى) من اللسان : « إنّما أراد ابن وصىّ النبىّ وابن ابن عمّه ، وهو الحسن بن علىّ ، أو الحسين بن علىّ رضى الله عنهم ، فأقام الوصىّ مقامها ، ألا ترى أنّ عليًّا رضى الله عنه لم يكن فى سجن

---

(١) وفى رواية : (الحصن) بدل الخص كما فى مادة (وصى) من اللسان .

عارم ولا سجن قطّ . قال ابن سِيدَه : أنبأنا بذلك أبو العلاء عن أبى علىّ الفارسىّ ، والأشهر أنّه محمّد ابن الحنفيّة رضى الله عنه ، حبسه عبد الله بن الزبير فى سجن عارم ، والقصيدة فى شعر كثيّر مشهورة ، والممدوح بها محمّد ابن الحنفيّة » انتهى .

(ومنه) قول دُريد بن الصِّمَّة يرثى أخاه عبد الله :

فإن تُعقب الأيّام والدهر فاعلموا ... بنى قارب أنّا غضاب بِمَعْبَد[1]
وإن كان عبد الله خلّى مكانه ... فما كان طيّاشاً ولا رعش اليد

أراد بمعبد : عبد الله ، وقد صرّح به فى البيت الثانى . والأقرب عدّ هذا من الخطإ اللفظىّ ، أى بتحريف عبد بمعبد ، وسهله له رجوع كلا اللفظين إلى معنى العبودة .

(ومنه) قول الآخر :

أرض تخيّرها الطيب مقيلها ... كعب بن مامة وابن أمّ دواد

قال البغدادىّ فى الخزانة : « هو أبو دواد الشاعر ، واسمه جارية[2] ، والتقدير ابن أمّ أبى دواد فحذف الأب » .

(ومنه) ما ذكره السيرافىّ فى شرحه لكتاب سيبويه فقال : « وأمّا

---

(١) كذا فى اللسان والوساطة ، والذى فى المزهر وموارد البصائر وشرح السيرافى على سيبويه (لمعبد) وفيه بدل البيت الثانى :

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارساً ... فقلت أعبد الله ذلكم الردى

(٢) الذى فى القاموس وشرحه : (جويرية) أى بالتصغير .

ما لا يجوز فى الشعر ولا فى الكلام ، فالغلط الذى يغلطه الشاعر فى اسم أو غيره ممّا يظنّ أنّ الأمر فيه على ما قاله ، كقوله :

* والشيخ عثمان أبو عفّان *(١)

فظن أنّ عثمان يكنى أبا عفّان ، لأنّ اسم أبيه عفّان ، وإنّما هو أبو عمرو فهذا ممّا لا يجوز » .

(ومنه) قول لبيد يرثى عمّه عامر بن مالك الملقّب بملاعب الأسنّة :

قُوما تنوحان مع الأنواح   وأَبِّنا ملاعب الرماح

وقوله فيه :

لو أنّ حيًّا مدرك الفلاح   أدركه ملاعب الرماح

فاضطرّته القافية إلى تلقيبه بلقب غيره ، لأنّ ملاعب الرماح هو عامر بن الطُّفَيل . هذا على ما جاء فى موارد البصائر ومادّتى (رمح) و (لعب) من اللسان . وجاء فى مادّة (رمح) من القاموس : « وملاعب الرماح : عامر بن مالك بن جعفر ، والمعروف ملاعب الأسنّة ، وجعله لبيد رماحاً للقافية » إلاَّ أنَّه اقتصر فيه على المشهور فى مادّة (لعب) .

(ومنه) قول زهير :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلّهم   كأحمر عاد ثمّ ترضع فتفطم

فذكروا أنَّه أخطأ فى قوله كأحمر عاد ، وهو أحمر ثمود . وقال بعض أهل

(١) كذا فى شرح السيرافى على سيبويه ، والذى فى المزهر (أبو عفانا) ولا يتعين أحداهما إلا بالوقوف على بقية الرجز .

اللغة : العرب تسمّى ثمود : عاداً الآخرة ، وتسمّى قوم هود : عاداً الأُولى ، فقول زهير صحيح .

(ومنه) قول النَّمِر بن تَوْلَب :

هلاَّ سألتِ بعادياء وبيته   والخلّ والخمر التى لم تمنع[1]

وفتاتهم عَنْز عشيّة أبصرت   من بعدمرأى فى القضاء ومسمع

قالت أرى رجلاً يقلِّب نعله   أُصُلاً وجَوٌّ آمن لم يفزع[2]

وعنز (بفتح فسكون) : اسم زرقاء اليمامة ، وكانت على ما زعموا تبصر من مسيرة ثلاثة أيّام ، وهى من جَدِيس ، فجعلها الشاعر من بيت (عادياء) وهو أبو السموءل الأَزدىّ الغسّانىّ ، فأخطأ فى وضعه اُسماً موضع آخر .

وقال بعضهم : أراد بعادياء : عاداً ، والعرب تقول : لكل شىء قديم عادىّ

قلنا : وعلى هذا القول فهو من الخطإ اللفظىّ بتحريف عاد بعادياء . والأَقرب فى الاُعتذار عنه قول اُبن حبيب فى شرحه لديوانه : « نسب عنزاً إلى بيت عادياء ، وليست منهم ، وإنَّما كان شيئاً فى أوّل الدهر فنسبه إلى بعضهم ، كما قال زهير كأحمر عاد وإنَّما كان فى ثمود » .

(ومنه) قول البحترىّ من المولّدين :

همُ ثأروا الأخدود ليلة أغرقت   رماحهم فى لجّة البحر تُبَّعا

---

(١) قوله : بعادياء ، يريد عن عادياء .

(٢) جو (بفتح الأول) . اسم بلد ، وهى اليمامة . والمراد هنا أهل جو .

قال أبو العلاء المعرّىّ فى عبث الوليد : « الذى غرق من ملوك اليمن فى البحر لمّا أرهقته الحبشة هو ذو نُوَاس الحميرىّ ، ولم يكن يقال له تبّع إلاّ أنّ هذا يحتمله الشعر على أن يجعل كلّ ملك للعرب تبّعاً ، كما جعلوا كلّ ملك للروم قيصر ، وكلّ ملك من ملوك الحيرة النعمان » .

***

وكلّ ما ذكرناه من المآخذ لم نأت به من عند أنفسنا بل عوّلنا فيه على ما فى كتب أئمّة اللغة والأدب ، كاللسان ، والمزهر ، والخصائص ، والأغانى ، والعقد ، ومحاضرات الأدباء ، والقرطين ، والتنبيهات ، ومجالس أبى مسلم ، والوساطة ، والموشّح ، وسفر السعادة ، والخزانة ، وكتب الأضداد ، والضرورات الشعريّة ، وشروح الدواوين ، وغيرها . فإن كان لنا فيه شىء فجمع ما انتثر منه ، وضمّ الشبيه إلى شبيهه ، أو ما كان كالتوطئة ، أو الشرح لكلامهم . وقد منعنا طول المقال عن إلحاقه بما وقع من هذه الأوهام لفحول المولّدين غير ما تقدّم ذكره بالمناسبة فأرجأناه لمقال آخر خاصّ بهم .

أحمد تيمور

الباب الثاني

الشعراء المولدون

ويشتمل على القسم السابع

وهو القسم الأخير من أقسام الكتاب

القسم السابع

ولنختم كلامنا ببعض ما وقع من الأوهام المعنويّة لمن يعتدّ بهم من الشعراء المولّدين ، غير ما تقدّم لنا ذكره بالمناسبة مع أوهام العرب .

(أبو نُوَاس)

فممّا أدرك على أبى نُوَاس قوله فى وصف الأسد :

كأنّما عينه إذا اُلتفتت بارزةَ الجفن عين مخنوق[1]

فإنّ عين المخنوق تكون جاحظة ، والأسد لا يوصف بجحوظ العين ، بل يوصف بغؤورها ، كما قال أبو زُبَيد :

كأنّ عينيه فى وَقْبين من حَجَر قِيضا اُقتياضاً بأطراف المناقير[2]

(ومن أوهامه) ما رواه المرزبانىّ فى الموشّح قال : « حدّثنى المظفّر ابن يحيي قال : غلط أبو نواس فى قوله يصف الكلب :

كأنّما الأُظفور من قِنابِهِ موسى صَناع رُدّ فى نصابِهِ[3]

---

(١) (التفتت) رواية العقد الفريد ، والذى فى الصناعتين وسر الفصاحة: (نظرت) وفى النسخة المطبوعة فى الحيوان للجاحظ : (تهبت)

(٢) الوقب : النقرة فى الحجرة . وقيضاً : نقراً . والمناقير : جمع منقار ، وهى حديدة ينقر بها .

(٣) القناب (بكسر الأول) : ما يدخل فيه الأسد مخالبه من يده . والصناع (بفتح أوله) : الحاذق فى الصنعة ، أى كأن ظفر هذا الكلب إذا أدخله فى قنابه موسى رجل صناع طوى فى نصابه .

لأنّه ظنّ أنّ مخلب الكلب كمخلب الأسد والسنّور الذى يستتر إذا أرادا حتّى لا يتبيّن ، وعند حاجتهما تخرج المخالب حُجناً محدّدة يفترسان بها . والكلب مبسوط اليد أبداً غير منقبض » .

(وممّا أدرك) على أبى نُوَاس أيضاً قوله يصف الديار :

كأنّها إذا خرست جارم بين يدى تفنيده مطرق

قال الجاحظ فى الحيوان : « عابوه بذلك وقالوا : لا يقول أحد : لقدسكت هذا الحجر كأنّه إنسان ساكت ، وإنّما يوصف خرس الإنسان بخرس الدار ، ويشبّه صممه بصمم الصخر » انتهى .

قلنا : الذى عندنا فى البيت أنّه من التشبيه المقلوب والتخيّل فيه بديع فلا وجه لما ذكروه .

(ومن التناقض) قول أبى نُوَاس أيضاً يصف الخمر :

كأنّ بقايا ماعفا من حَبابها تفاريق شيب فى سواد عذار

قال المرزبانىّ فى الموشّح : « شبّه حباب الكأس بالشيب ، وذلك قول جائز لأنَّ الحباب يشبه الشيب فى البياض وحده لا فى شيء آخر غيره ثمّ قال :

تردّت به ثمّ انفرى عن أديمها تفرّىَ ليل عن بياض نهار

فالحباب الذى جعله فى هذا البيت الثانى كالليل هو الذى فى البيت الأوّل أبيض كالشيب . والخمر التى كانت فى البيت الأوّل كسواد العذار هى التى صارت فى البيت الثانى كبياض النهار ، وليس فى هذا التناقض منصرف إلى جهة من جهات العذر لأَنّ الأَبيض والأَسود طرفان متضادّان

وكلّ واحد منهما فى غاية البعد عن الآخر ، فليس يجوز أن يكون شيء واحد يوصف بأنه أسود وأبيض إلاّ كما يوصف الأدكن فى الألوان بالقياس إلى كلّ واحد من الطرفين اللذين هو وسط بينهما ، فيقال : إنّه عند الأبيض أسود ، وعند الأسود أبيض ، وليس فيما قاله أبو نُوَاس حال توجب انصراف ما قاله إلى هذه الجهة » انتهى .

قلنا : هذا صحيح على هذه الرواية ، ولكنّا رأينا على نسختنا من الموشّح حاشية نصّها :

« الموجود بخطّ توزون[1] النحوىّ صاحب أبى عمر الزاهد صاحب أبى العبّاس أحمد بن يحيي ثعلب : (تردّت به ثمّ انفرت) وعلى هذه الرواية لا تناقض » .

(وفى الموشّح) أيضاً ما نصّه : (ومن قول أبى نُواس على طريق الإيجاب والسلب[2] :

ولىّ عهد ما له قرينُ ولا له شبه ولا خدين
أستغفر الله بلى هارون يا خير من كان ومن يكون
* إلاّ النبىّ الطاهر الميمون[3] *

فصيّر هارون شبيهاً بولىّ العهد ، ثمّ قال : إنّه خير الناس ولم يستثن

(١) توزن لقبه ، واسمه إبراهيم بن أحمد ، وكان صحيح النقل جيد الضبط ، ولم يصنف شيئاً غير جمعه لشعر أبى نواس ، ولم نقف على وفاته .

(٢) من رجز يمدح به الأمين بن هارون الرشيد .

(٣) لحنه المبرد فيه بأنه رفع المستثنى وحقه النصب لأن الكلام موجب ، ورد بأن المستثنى وهو لفظ (النبى) منصوب ، وإنما المرفوع نعته على القطع فلا لحن .

بهارون ، فكأنّه إمّا خير منه وليس خيراً منه لأنّه شبيهه ، أو شبيهه وليس بشبيهه لأنَّه خير منه ، وهذا جمع بين النفى والإثبات » .

(أبو تمّام)

(وممّا وهم) فيه أبو تمّام قوله :

ألذّ من الماء الزلال على الظما   وأطرف من مرّ الشمال ببغداد

قال القاضى الجرجانىّ فى الوساطة : « جعل الشمال طرفة ببغداد ، وهى أكثر الرياح بها هبوباً ، وقد رواه بعض الرواة أظرف ، ولا أعرف معنى الظرف فى الريح » .

(وقوله) :

ورحب صدر لو أنّ الأرض واسعة   كوسعه لم يضق عن أهله بلد[1]

قال فى الوساطة : « وهذا المعنى فاسد لأنّه جعل البلاد إنَّما تضيق بأهلها لضيق الأرض ، وأنّها لو اتّسعت اتّساع صدره لم تضق البلاد ، ونحن نعلم أنّ البلاد لم تخطّط فى الأَصل على قدر سعة الأَرض وضيقها ، وأنَّ الأَرض تتّسع لبلاد كثيرة ، ولاتّساع ما فيها من المدن أيضاً ، وهى على حالها ، وإنّما تؤسّس وتبدئ على قدر الحاجة إليها ، فإذا استمرّ بها الزمان وكثرت العمارة ، وظهر فيها ما يستدعى الناس إليها ضاقت ، فإن جاورتها فسح وعراص وسعت وإلاّ احتمل لها بعض الضيق ، فلو اتّسعت الأَرض حتى امتدّت إلى غير نهاية وأمكن ذلك لم ترد البلاد التى تنشأ فيها على

(١) فى رواية عن (أهلها) برجوع الضمير إلى الأرض .

مقاديرها » وقد خطّأه فيه أبو هلال أيضاً ، فقال فى الصناعتين : « وذلك أنّ البلدان التى تضيق بأهلها لم تضق بأهلها لضيق الأرض ، ومن اُختط البلدان لم يختطّها على قدر ضيق الأَرض وسعتها ، وإنّما اُختطّت على حسب الاتّفاق ولعلّ المسكون منها لا يكون جزءاً من ألف جزء فلأىّ معنى تصييره ضيق البلدان الضيّقة من أجل ضيق الأرض . والصواب أن يقول : ورحب صدر لو أنّ الأرض واسعة كوسعه لم يسعها الفلك ، أو اضاقت عنها السماء ، أو يقول : لو أنّ سعة كلّ بلد كسعة صدره لم يضق عن أهله بلد . والجيّد فى هذا المعنى قول البحترىّ :

مفازة صدر لو تطرّق لم يكن ليسلكها فرداً سُلَيك المقانب[1]

أى لم يسلكها إلاّ بدليل لسعتها ، على أنّ قوله : مفازة صدر استعارة بعيدة » انتهى .

وللآمدىّ كلام طويل عن البيت راجعه إن شئت فى الموازنة .

(وممّا أدرك) على أبى تمّام قوله :

الودّ للقربى ولكن عُرفه للأبعد الأوطان دون الأقرب

قال ابن سنان فى سرّ الفصاحة : « قيل : لِمَ منع ذوى القربى من عرفه وجعله فى الأبعدين دونهم ؟ وهلاّ كان عطاؤه للقريب والبعيد » . وقال أبو هلال : « لا أعرف لِمَ حرم أقارب الممدوح عرفه وصيّره للأبعدين ؟ فنقصه الفضل فى صلة الرحم ، وإذا لم يكن مع الودّ نفع لم يعتدّ به » إلى

(١) سليك المقانب : من العدائين ، واسم أمه سلكة (بضم ففتح) . وانظر رواية البيت فى الموازنة ص ٨٤ ج ١

أن قال : « وقد أغرى أبو تمّام بهذا القول أقرباءَ الممدوح ، لأنّهم إذا رأوا عرفه يفيض فى الأبعدين ويقصر عنهم أبغضوه وذمّوه » .

قلنا : ولم لا يكون قصد أبى تمّام أنّ الممدوح من بيت مجد وغِنًى لا يحتاج أقاربه لغير الودّ منه . على أنّ مثل هـذا ربّما لا يعدّ من نوع الخطإ الذى توخّينا ذكره إلاّ أن يحمل على أنه أراد أن يمدح فهجا

(وقوله) :

رقيق حواشى الحلم لو أنّ حلمه بكفّيك ما ماريت فى أنه بُرْد

قال أبو هلال : « وما وصف أحد من أهل الجاهليّة ولا أهل الإسلام الحلم بالرقّة ، وإنّما يصفونه بالرُّجحان والرزانة » ثمّ أورد عدّة شواهد على ذلك من أشعار الجاهليّين والإسلاميّين ، كقول النابغة :

وأعظم أحلامًا وأكبر سيِّداً وأفضل مشفوعًا إليه وشافعُ

وكقول عدىّ بن الرقاع :

أبت لكم مواطن طيّبات وأحلام لكم تزن الجبالا

وقول الفرزدق :

إنّا لتوزن بالجبال حلومنا ويزيد جاهلنا على الجهّال

وقال القاضى الجرجانىّ عن البيت : « البُرْد لا يوصف بالرقّة ، وإنّما يوصف بالصفاقة والدقّة ، وقد أقام الرقّة مقام اللطف والرشاقة فى موضع آخر فقال :

لك قدّ أرقّ من أن يحاكى بقضيب فى النعت أو بكثيب [1]

والقدّ لا يوصف بالرقّة » .

قلنا : أمّا الذى انتقده أبو هلال فصحيح ، وأمّا قول الجرجانىّ بأنّ البُرْد لا يوصف بالرقّة فقد نقل التبريزى فى شرحه لديوان أبى تمّام عن المرزوقىّ : أنّ الرقّة تستعمل فى صفة الفاخر من الثياب وغيره حتّى يقال : عندى ثوب أرقّ من الهواء .

هذا آخر ما كتبه العلاّمة المحقّق المغفور له « أحمد تيمور باشا » وقد عاجلته المنية قبل استيفاء هذه التعليقات النفيسة . وقد وجدنا مع أصول هذه التعليقات صفحتين كتبهما بخطه أيضاً تشتملان على نصوص باقى هذه التعليقات التى كان يريد استيفاءها من المراجع التى قرأها ، وهى تتمة للقسم السابع الخاصّ بأوهام الشعراء المولّدين ، فقد عيّن اسم الشاعر والبيت الذى وهم فيه أو أخطأ ، واسم الكتاب الذى ورد فيه ورقم الصفحة ، وقد أثبتناها كما وردت فى هاتين الصفحتين ، إتماماً للفائدة وتعميماً للنفع ، ليستفيد منها العلماء والأدباء فى إتمام هذا البحث النفيس ، ويتّخذون منها مرآة لبحوثهم ، لأنها تبيّن كيف كان العلاّمة المحقّق المغفور له « تيمور باشا » يضع عناصر مؤلفاته . وإلى القارئ ما ورد فى هاتين الصفحتين :

---

(١) فى بعض نسخ الديوان : (أدق) بدل أرق ، وبه ورد فى شرح التبريزى حتى كتب بعضهم على حاشية نسختنا : «قوله : قد أدق جاء عفواً مما لا يستحيل بالانعكاس» وعلى هذه الرواية لا خطأ فى هذا البيت .

تتمة الكلام على خطإ أبى تمام

فى المعـــانى

المواد وأسماء المراجع[1]

نجوم سماء — الموشح ص ٣١٠

خلق الزمان القوم عاد ظريفا — أستعمله للظرف فى غير النطق . (ينظر فى المثل السائر)

حالت عليها الخلاخل — الوساطة ص ٦٦ الصناعتين ص ٩١

وقبولها ودبورها أثلاثا — الصناعتين ص ٩٢ وبعده خطأ مثله لأبى المعتصم .

أوهام لأبى تمام فى المعانى — الموازنة ج ١ ص ١٢ — ١٦ وانظر ص ٥٧ — ١٥٠ والأولى قراءة الجزء الأول برمته .

(البحـــترى)

أوهام له فى المعانى — الموازنة ج ١ ص ١٥٠ — ١٥٤ وأنظر فى الصناعتين بيتاً من ذلك فى ص ٩٦ — ٩٧ والأولى قراءة الموازنة .

خطأ له ، والانتصار له — العمدة أول ص ١٩٢ ج ٢

خطأ له فى بيت — الريحانة ص ٩٣

---

(١) هذه المراجع التى أشار إليها الفقيد العظيم المغفور له العلامة « أحمد تيمور باشا » محفوظة بالخزانة التيمورية التى أهديت إلى دار الكتب المصرية .

قف مشوقا . . . . أو عذولا — انظر المثل السائر ص ٤٤٤ ، وشرح الصفدى على لاميّة العجم ج ١ ص ١٤٥ ، ونزول الغيث رقم ٥٣٩ شعر ص ٢٣ ورقم ٧٦٥ شعر ص ٣٢ ، وتحكيم العقول رقم ١٠١٧ شعر ص ٢٧

تقسيم له غير صحيح — ابن أبى الحديد على نهج البلاغة ج ٢ أواخر ص ٢٢٣

خطؤه فى نسبة صفية بالصبر — عبث الوليد آخر ص ٧٩

خطأ له فى المعنى — انظر الضياء ج ٨ أواخر ص ٣٨٦

(المتنبى)

غلطه فى تشبيه أذن الفرس بأذن الأرنب — اليتيمة ج ١ أوّل ص ١٢٤

الوجه تشبيهه الأذن بالورقة — أمالى القالى ج ٢ ص ٢٥٢ ، خزانة ابن حجّة ص ١٦٤

بيت فيه التشبيه بالورقة — العقد ج ٣ أواخر ص ١٥٩ تشوّفا .

الغَزْل والغَزَل

خطأ الشعراء فى التورية بالغَزْل والغَزَل — فضّ الختام عن التورية والاستخدام للصفدى ص ٤٣ — ٤٤

أوهام فى المعانى لبعض الشعراء — الضياء ج ٨ ص ٥٤٤ وهم لابن بسّام، وفى آخر ص ٥٤٦ بيت للحسن العقيلىّ عكس فيه المعنى ، ومثله لابن زمرك فى ص ٥٤٧ .

فهرست

أوهام شعراء العرب في المعاني

صفحة

القسم الثانى

القسم الثالث

القسم الرابع

صفحة

القسم الخامس

صفحة

القسم السادس

الباب الثانى

القسم السابع

فهـــــرس الشعراء

(تنبيه) اعتمدنا فى ترتيب الأسماء على أول الاسم دون المبالاة بأداة التعريف ، وبلفظى : الأب والابن ، مثال ذلك .

(ابن نوفل) فقـد ذكر فى حرف النون و (ابن هرمة) فى حرف الهاء و (أبو قيس بن رفاعة) تجده فى حرف القاف و (أبو نواس) فى حرف النون ، وهلم جرا .